

من يحمل هم الدين؟

1. قيمة الإنسان في الحياة
2. قيمة الدين عندنا
3. الهجمة على الإسلام (الدين) و المسلمين - حال الأمة - فرض كفاية - مجال من مجالات الجهاد)
4. سنن و آمال
5. علامات الهم
6. أولويات العمل (الصلاح - الأمر بالمعروف - الإنفاق بأوجهه - الدعوة - التفوق)
7. نماذج
1. قيمة الإنسان في الحياة

دعوني أسألك هذا السؤال: من أهم شخص في حياتك؟

بالنسبة لي أهم شخص في حياتي هو أنا، وليس أبي أو أمي، أو أخي أو عائلتي، وليس في ذلك أنانية؛ وقد قال - تعالى: **(يَوْمَ**

يَفِرُّ الْمَرْءُ مِّنْ أَخِيهِ * وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ * وَصَاحِبَتِهِ وَبَنِيهِ * لِكُلِّ امْرِئٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ) عبس: 34-37

هناك رحلة متجهة إلى مدينة الحقيقة والوعي والإدراك الكامل تفترض منك أن تحمل ثلاث حقائب فقط لا غير، وهذه الحقائب هي أهم ثلاثة أشياء في حياتك، فربما تكون عند أحدهم أهم ثلاثة أمور في حياته هي الأسرة والوظيفة والمسكن، وعند آخر المنصب والشهرة والمال، وعند آخر حفظ كتاب الله وبر الوالدين والصدق، لا علينا فكل شخص يفترض أن تكون لديه أولوياته، وسؤالي لك - والذي أفترض أنك قد حددته سلفًا -: ما أهم ثلاثة أشياء في حياتك؟ وإذا لم تكن لديك إجابة سابقة، فإني أفترض منك التفكير لعدة دقائق؛ لتحديد أهم ثلاثة أمور في حياتك.

ولا تقل: سوف أحمل أربع حقائب تمثل أهم أربعة أمور في حياتي، فقانون الرحلة يجبرك على حمل ثلاث حقائب فقط.

والآن وبعد أن وقفت عند موظف الشحن في المطار؛ لشحن حقائبك على الرحلة المتجهة لمدينة الوعي والإدراك، يُخبرك موظف الشحن أن لديك وزنًا زائدًا، ولا يمكن أن تحمل معك في الرحلة سوى حقيبتين فقط، وهاتان الحقيبتان تمثلان أهم أمرين في حياتك، فتضطر للتخلي عن إحدى الحقائب، وبعد إقلاع الرحلة يحدث خللٌ بالطائرة، ويُعلن (كابتن) الطائرة من خلال مكبر الصوت أن هناك مشكلةً فنية بالطائرة تفترض تخفيف الوزن بالطائرة، وعلى كل راكب أن يتخلى عن حقيبة واحدة، ويبقى لديه حقيبة واحدة، وهذه الحقيبة الواحدة تمثل أعلى وأهم شيء في حياته. وبعد أن يتبقى حقيبة واحدة فقط يُخبرك علماء النفس أن هذه الحقيبة الواحدة المتبقية لديك، والتي تمثل أولوية وأهمية كبرى في حياتك - هي أكبر قضية في حياتك قد قصرت فيها، فهل نعود للتفكير من جديد في أولوياتنا؟

هناك الذي انشغل بالرياضة، وهناك من طحنته الوظيفة، فهو يُوالي لها، ويغضب لها، ولا تسعه الدنيا من الفرح إن ابتسم في وجهه مسؤول الجهة التي يعمل لديها، وكل حياته تدور حول هذه الوظيفة، ومنهم من يدور في حلقة المال، فلا يرى في الدنيا طريقًا غير هذه الطريق، ومنهم من شغله طلب الشهرة والجاه والمنصب عن كثير من أمور حياته وأمور دينه، ومنهم من شغله الشعر ومتابعة مجلاته وأخباره وقنواته الفضائية، ومنهم من شغلته الأغاني، ومنهم من شغلها (الموضة، والمكياج)، ومنهم من شغله التعليم والحصول على الشهادات العليا؛ لتحقيق بعض المنافع الدنيوية، ومنهم من أدمن متابعة الأفلام فلا يقيم حقوقًا لله، ولا للناس، ولا يعرف واجبات، ومنهم من شغلته السياسة، وهكذا دواليك،

والمهم في هذا كُله أن وعي كل واحد منهم منتهك بما يناسبه ويوافق هواه، وبما يتفق مع رغباته وميوله.

كل واحد منهم قد دعاه إبليس إلى ما يوافق هواه ورغبته، لا يهم طريق الضلال؛ ولكن المهم هو النتيجة التي يريدها، وهي البعد عن الله - عز وجل - وقد قال الله - تعالى - فيه: **{وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الأَمْرُ إِنَّ اللّهَ وَعَدَكُمْ وَعَدَ الْحَقِّ وَوَعَدْتُكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ وَمَا كَانَ لِي عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلا أَنْ دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلا تَلُومُونِي وَلُومُوا أَنْفُسَكُمْ مَا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ وَمَا أَنْتُمْ بِمُصْرِخِي إِي كَفَرْتُمْ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِ مِنْ قَبْلُ إِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ}** إبراهيم: 22.]

وإن غياب الوعي في المفهوم القرآني يعني الغفلة، فمن كان أغلب وعيه وتفكيره مع كرة القدم أو الأغاني أو الأفلام أو الوظيفة أو المال، فهو واقع في الغفلة، التي حذر الله - عز وجل - منها بقوله - تعالى: **{لَقَدْ كُنْتُمْ فِي غَفْلَةٍ مِنْ هَذَا فَكَشَفْنَا عَنْكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ}** [ق: 22.]

والمشكلة الكبرى التي لا يعيها ولا يدركها كثير من الناس: أنه عندما يتخذ قرارًا يخالف مقصود الله - عز وجل - أو يتبع فيه هواه ورغباته، وأنه يعتقد أنه عندما اتخذ القرار كان عن اقتناع منه، وأنه ناتج عن تفكيره، ولا يعلم أن الذي اتخذ القرار هو إبليس، وهو وافق على هذا القرار بدون أن يدرك ويعي أن الذي اتخذ القرار غيره؛ وقد قال - تعالى: **{وَمَا كَانَ لِي عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلا أَنْ دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي}** [إبراهيم: 22]، فقد دعاه إبليس إلى أمر من الأمور، ثم استجاب.

والذي لا زال يُفكر في الأسئلة التي وردت في أول المقال، ويبحث عن إجاباتها، فقد أوضح المولى - عز وجل - جوابها في هذه الآية الكريمة: **{اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهُمْ زِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الأَمْوَالِ والأَوْلَادِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُمْصِرًا ثُمَّ يَكُونُ حُطَامًا وَفِي الآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِنَ اللّهِ وَرِضْوَانٌ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلا مَتَاعُ الغُرُورِ}** [الحديد: 20.]

وسؤال: ما أهم حقيقة لديك؟ وكيف ستصرف تجاهها في المستقبل؟

إن أهم حقيقة لديك هي التي تحدد قيمتك في الحياة الدنيا وفي الآخرة، وإن سألتهموني عن أهم حقيقة لدي، فسأقول لكم: إنها علاقتي بالله - عز وجل.

مهمة الإنسان في الوجود ورسالته في الحياة

ما قيمة هذا الإنسان؟

من حيث المكان في هذا الكون من حيث حجمه مخلوق ضئيل ومن حيث الزمان مخلوق ضئيل كم يعيش الإنسان؟ 50؟ 60؟ 70؟

ليس له قيمة كبيرة من ناحية المكان ولا من ناحية الزمان ولا من ناحية البدن !!
إذا ليس للإنسان قيمة من هذه الناحية المادية، وإنما قيمة الإنسان في هذا الشيء الذي أودعه الله تعالى فيه ! قيمة الإنسان ليست في التراب ولا في الحمم المسنون ولا في الطين ولا في الصلصال! إنما هي في هذا السر الإلهي ! في هذه اللطيفة الربانية. في هذه الجوهرة الروحانية ! في هذا الشيء الذي نفخه الله فيه ! والذي استوجب به أن تسجد له الملائكة تحية وتكريما ! قال ربنا الكريم : **{إذ قال ربك للملائكة إني خالق بشرا من طين فإذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوه له ساجدين}** [صاء 81] لماذا يسجدون ؟ تكريما لهذه النفخة من روح الله ! هذا هو الذي جعل للإنسان مكانة

هذا هو أنت أيها الإنسان! حقيقة الإنسان ليست في هذا الغلاف المكون من الأجهزة والخلايا والدم واللحم والعظام والأعصاب لو كان الأمر أمر جسم لكان الثور والفيل أعظم من الإنسان فما أضخمهما وما أعظم جسمانهما ولكن سر الإنسان في هذا (الروح الإلهي) الذي يسري بين جنبهيه هذا أنت أيها الإنسان وبهذا صرت عظيما في ملكوت السماء ! ومن هنا سخر الله للإنسان مافي السماوات ومافي الأرض جميعا منه وأسبغ عليه نعمه ظاهرة وباطنة الكون كله في خدمة الإنسان ومسخر لمنفعته! الشمس تضيء له والنجوم تهديه يقول الله عز وجل: وبالنجم هم يهتدون... والبحار والأنهار وكل مافي الكون في خدمة الإنسان ولكن الانسان نفسه لمن سُخِرَ ؟ ومن يخدم ؟ إنه قد أعد لخدمة الرحمان . كل ما في الكون خُلق للإنسان أما الإنسان نفسه فُخِلق للرحمان . إذا نظرت أخی المسلم الكريم.إلى مراتب الكائنات في هذا الكون . وجدت كل كائن يخدم من هو أعلى منه مرتبة.

والإنسان نفسه من يخدم ؟ من ذا الذي يخدمه الإنسان؟ ليس في الكون من هو أعلى من الإنسان من المخلوق قلت كلها , إنما يخدم الإنسان الله عز وجل ! وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون .. ولهذا كانت الوثنية عكسا للحقائق وقلبا للأمر. حينما جعلت الإنسان يخضع وينذل لما هو أدنى منه ! يعبد الطبيعة, يعبد الأبقار, يعبد القبر, يعبد الشمس, يعبد القمر, يعبد الحجر, يعبد النار يعبد البشر مثله الإنسان خُلق لله ! ليعرف الله وليعبد الله وعليه خلقنا الله لنعرفه! فإذا عرفناه عبدناه حق العبادة . عرفنا أنفسنا فعرفنا ربنا. عرفنا مخلوقات الله فعرفنا خالقها فأدينا له حقه ! عبَدنا له أنفسنا لم نعبدها لأحد غيره ولا لشيء غيره و **هذا مفهوم العبادة** و أن نبحت في الكون ونؤمن بالغييب الذي أخبرنا الله به وأخبرنا به رسوله صلى الله عليه وسلم ونكتشف قوانينه ونعرف سننه ونسخره (كما أراد الله) لخدمتنا و **هذا مفهوم العمارة** خلقنا الله لنمثل أمره . ونجتنب نهيه . ولنقيم دينه في الأرض , خلقنا الله لتكون مفتاحاً للخير مغلقاً للشر وألا تكون معول هدم وردم وفساد! في الحديث طوبى لمن كان مفتاحاً للخير مغلقاً للشر, وويل لمن كان مغلقاً للخير مفتاحاً للشر! وظهور الفساد في الارض سببه أعمال الانسان المنحرفة. يقول تعالى : (ظهر الفساد في البر والبحر بما كسبت ايدي الناس ليذيقهم بعض الذي عملوا لعلهم يرجعون...) ويقول : (ولا تفسدوا في الارض بعد إصلاحها..) (الانسان هو سبب الفساد في الارض.. ويقول عز وجل: (وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان...)) **خلقنا لنقيم حكمه في الأرض و هذا مفهوم الخلافة**

خلقنا الله لهذه الثلاثية العبادة العمارة الخلافة

العبادة التي خلق الإنسان لأجلها تشمل كل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الصالحة .فإقامة الشعائر عبادة لله وبر الوالدين عبادة لله وصلة الأرحام عبادة لله وإكرام الجيران والإحسان إليهم وإلى جميع المخلوقات عبادة لله (سواء كانوا مسلمين أو غير مسلمين بل ولو كانوا حيوان) فكل فعل الخير عبادة لله! والدلالة عليه عبادة لله! والدعوة إليه عبادة لله! ومن هذه العبادة عمارة الأرض بما يعود على الناس بالنفع يقول تعالى:(هو أنشأكم من الارض واستعمركم فيها..)[هود61] وبالجملة كل ما أمر الله به فعله عبادة وكل ما نهى الله عنه تركه عبادة ومن هذه العبادة القيام بحق الخلافة في الأرض قال تعالى :(إني جاعل في الارض خليفة..) وقال:ويستخلفكم في الارض فينظر كيف تعملون... **هذه هي مهمة الإنسان في هذه الحياة وهذه هي رسالته في هذا الكون, وهي أن يقوم الإنسان بحقوق العبادة والخلافة**

والعمارة . ولذلك إذا لم يقم الإنسان بهذه المهمة . كان أضل من الأنعام سبيلا . يقول تعالى : (أرأيت من اتخذ الهه هواه أفأنت تكون عليه وكيلا أم تحسب أن أكثرهم يسمعون أو يعقلون إن هم إلا كالأنعام بل هم أضل سبيلا)[الفرقان 42] ويقول تعالى أيضا : (ولقد ذرأنا لجهنم كثيرا من الجن والانس لهم قلوب لا يفقهون بها ولهم أعين لا يبصرون بها ولهم آذان لا يسمعون بها أولئك كالأنعام بل هم أضل) [الأعراف]

ما مهمتك أيها الإنسان؟ ما رسالتك؟ ما وظيفتك في الحياة؟ أخلقت لمجرد أن تأكل وتشرب؟ ، هكذا تصنع الأنعام ماذا زدت على الثور والبقرة أو الناقة أو الحمار؟ ما قيمتك أيها الانسان إذا لم تكن لك مهمة أعظم وأرقى؟ ما قيمتك إذا لم تعرف الله الذي خلقك من تراب ثم من نطفة ولم تعبده حق عبادته كما أمرك؟.

إن معرفة الله وعبادته هي الغاية التي من أجلها خلق الانسان, فعلى الإنسان أن يعرف غايته , أما اذا عاش لا يعرف لماذا يعيش وما هي غايته وما هي رسالته فما هو بإنسان! بل هو أقل من الانعام ,

أصناف الناس في الحياة

• أموات غير أحياء

بعض الناس يعيش موجودا كمفقود , حيا كميث , حاضرا كغائب , هذا ليس بإنسان لا يُحسبُ من الأحياء بل ولا يُحسبُ من بني آدم!

• المتع العاجلة والشهوات الزائلة!

وهناك أناس يعيشون بلا إحساس , مثل الجماد يعيشون بغرائزهم ولغرائزهم كما تعيش الأنعام تجري وراء الشهوات! وأناس يعيشون كما تعيش الشياطين , مهمتها الإيذاء لخلق الله والإفساد في الأرض! ومن الناس من يرى أن الحياة هي هذه الحياة .. التي يدركها البصر ويقع عليها حسه , وأما ما وراء ذلك من عالم الروح وما جاءت به الرسل عن الله من تعاليم, فما هو إلا ضرب من التخيل (في زعمهم) ابتدعه الوهم , وحملت عليه الظروف القاسية التي كثيرا ما تضطر الانسان أن يخلق لنفسه عالما حالما يعيش فيه ,

هذه الأصناف الناس من شأنه أن يقبل على اللذات, يشبع منها نهمه ويعب منها ما وسعه أن يعب دون أن يقيد بقيد , أو يقف عند حد إلا عند القدر الذي يعينه على إشباع غرائزه وتحقيق آماله و أطماعه وشهواته, وقديما قالوا **(ما هي الا**

حياتنا الدنيا نموت ونحى وما يهلكنا إلا الدهر [الجاثية 24] ولا يختلف منطق هؤلاء لا في القديم ولا في الحديث

, فالنفس الإنسانية هي النفس الإنسانية, في كل زمان ومكان, وها هي ذي أمم الحضارة المعاصرة تعيش في حدود هذه الفكرة . تسخر جميع القوى لتحصل على أكبر قسط من اللذة العاجلة, وأوفر حض من الشهوة ولو كان ذلك على حساب غيرها من الأمم والشعوب , فكم من عزيز أذلته ! وكم من حق أضاعته ! وكم من دم سفكته ! وكم من عهد نقضته! , وكم من جرم اقترفته ! لا لأجل غاية كريمة ولا لرسالة سامية , وإنما لأجل إشباع نهمها الذي لا يشبع قط وقد قال تعالى: **(وما جعلنا لأكثرهم من عهد وإن وجدنا أكثرهم لفاسقين)** [الاعراف 102] وكل ما نراه من الجرائم والمآثم إنما هو نتاج هذا التفكير وقد قال الله تعالى: (إن شر الدواب عند الله الصم البكم الذين لا يعقلون ولو علم الله فيهم خيرا لأسمعهم) [الانفال 22]

, (فليس هناك إنسان إلا المؤمن الذي يؤمن بالله وبملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وبالقدر خيره وشره), ما عدا المؤمن فليس بإنسان وإن حُسب من الناس وهذا هو الإنسان الذي جاء الإسلام ليصنعه وليربيه وليكونه , يكون شخصيته المتكاملة , وهو الذي رباه الرسول صلى الله عليه وسلم ليكون صالحا في نفسه مُصلحا لغيره , أما غيره يقول يوم القيامة يا ليتني كنت ترابا ,

ما قيمتك في هذه الحياة؟؟

ما هي أميئتك في الحياة!!

عن أبي هريرة قال : سمعت النبي - صلى الله عليه وسلم - يقول : " والذي نفسي بيده لولا أن رجلاً من المؤمنين لا تطيب أنفسهم أن يتخلفوا عني , ولا أجد ما أحملهم عليه , ما تخلفت عن سرية تغزو في سبيل الله , والذي نفسي بيده لوددت أني أقتل في سبيل الله ثم أحيأ ثم أقتل ثم أحيأ ثم أقتل ثم أقتل " . صحيح

أخي .. والآن وفي ضوء الحديث السابق .. ما هي أمنيتك في الحياة؟!
سيقول قائل : أتمنى أن أكون غنيا ، أتمنى أن أكون لاعبا مميّزا ، أتمنى أن أكون طبيبة ، أتمنى أن أكون مديعة .. ممثلة ، أليست هذه هي أمنيات معظم الشباب؟!

أخي .. يا ابن خيرة أمة أخرجت للناس : أنت أكبر من أن تكون قضيتك فريق كروي يكسب أو يخسر .. أنت أكبر من أن تدور همومك حول شريط غناء أو رحلة سياحة للخارج .. أنت أكبر من أن تدور همومك حول الطعام والشراب .. أين أمنياتك من أمنيات نبيك؟!

قال عمر بن الخطاب يوما للصحابة : تمنوا ، فقال رجل : أتمنى لو أن لي هذه الدار مملوءة ذهباً أنفقه في سبيل الله (لاحظ الأماي) ، ثم قال : تمنوا ، فقال رجل : أتمنى لو أنها مملوءة لؤلؤاً وزبرجداً وجوهرات أنفقه في سبيل الله وأتصدق ، ثم قال : تمنوا ، فقالوا : ما ندري يا أمير المؤمنين ، فقال عمر : أما أنا فأتمنى لو أن هذه الدار مملوءة رجالاً مثل أبي عبيده بن الجراح.

لم يتمنّ عمر متاعاً ولا مالاً لأنه يعلم أن رأس مال الأمة الحقيقي هم رجالها ، لكنهم ليسوا أي رجال ، بل رجال كأمثال أبي عبيدة بن الجراح أمين هذه الأمة ، وهم كذلك من نفس النوع : أمناء على دين الله .. أمناء على أمتهم .. أمناء على الحق الذي استُحفظوا عليه .. لا يغيرون ولا يبدلون .. وقيد شعرة عن نهج نبيهم لا يحدون ، فأياكم سيقر عين الفاروق في قبره بتحقيق أمنيته من بعده؟!

* هل أخذت يوماً كتاب الله فقرأته مستشعراً أن الله جل جلاله ، بكبريائه وعظمته يخاطبك ويكلمك أنت العبد الصغير الذليل !!؟ أي تكريم لك ذلك التكريم العلوي !!؟ أي رفعة لك يرفعها هذا التنزيل !!؟ أي مقام يتفضل به عليك الرب الكريم !! يوم جعلك أهلاً لتلقي خطابه .. إن كل يوم لا تقرأ فيه شيئاً من القرآن يوم محقوق البركة ليس محسوباً من عمرك ، لأن بركة الوقت إنما تؤخذ من القرآن (كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ) [ص:29].

* هل جلست يوماً تربي نفسك بقراءة سيرة نبيك وحبيبك محمد - صلى الله عليه وسلم - الذي أحبك ، واشتاق إلى لقائك .. نعم ! نبيك اشتاق إلى لقائك فقال : وددت أنا قد رأينا إخواننا. قالوا : أولسنا إخوانك يا رسول الله؟! قال : " أنتم أصحابي ، وإخواني الذين يأتون من بعدي " . صحيح ، فهل اشتقت إليه كما اشتاق إليك؟!.

قال المتنبي:

إذا غامرت في أمر مروم فلا تقنع بما دون النجوم
فطعم الموت في أمر حقير كطعم الموت في أمر عظيم

إذ علينا أن نقنع فقط بعظائم الأمور، وديننا الحنيف يأمرنا بذلك حيث أن الرسول صلى الله عليه وسلم قال: "إذا سألت الله فاسأله الفردوس الأعلى" ولم يقل الجنة .

* فهل لديك طموح؟

* وهل ارتقيت بطموحك للسماء؟

* وهل قمت بتحويل تلك الطموحات لحقائق؟

* أم إلى أحلام يقظة وقلاعاً ترابية مثلما يفعل الأطفال؟

فطموحاتك ... تشكل حياتك.... أم أن حياتك لا تعني لك شيئاً؟

فلأسف كثير من الناس يعيش كسائر البشر لا هدف له، بل يفعل مثلما يفعل الآخريين. وقد نهانا رسولنا الكريم صلوات الله وسلامه عليه أن نكون تابعين إن أحسن الناس أحسنا. وإن أساؤوا أسأنا، فلتكن لنا هويتنا الواضحة، لنكن أشخاصاً لا نبتغي غير العلاء، والمناصب الرفيعة.

فكما قال أحمد شوقي: "الطير يطير جناحيه، والمرء يطير بهيمته"، فهل هممنا ترتقي بنا إلى أعالي الجبال، أم تهوي بنا إلى الأسفل؟ ويقول ابن قيم الجوزية: "كمال الإنسان بهمة تُرقيه، وعلم يُبصره ويَهديه". وقال عبد القادر الكيلاني لغلامه: "يا غلام، لا يكن همك ما تأكل وما تشرب، وما تلبس وما تنكح، وما تسكنوما تجمع، كل هذا هم النفس والطبع فأين هم القلب، همك ما أهمك، فليكن همك ربك عز وجل وما عنده".

وقد حدثنا الرسول -صلى الله عليه وسلم- على التحلي بعلو الهمة حيث قال: "إن الله - تعالى - يحب معالي الأمور وأشرفها، ويكره سفسافها". وقال كذلك: "إذا سألتهم الله فاسألوه الفردوس الأعلى" ولم يقل- صلوات الله وسلامه عليه:- "فاسألوه الجنة"، بل يعلمنا أن نطلب فقط المراتب العالية . وقد قيل: " قيمة كل امرئ ما يطلب "

فيا ترى ما هي قيمتك ؟

هل ما تطلبه سامي ويستحق التعب والسهر والكد من أجله؟

أم ما تطلبه شيء بسيط ولا يرقى لقيمته؟

يقول الإمام علي بن أبي طالب - قيمة كل امرئ ما يحسن،

قيمه علمه وكرمه، وحلمه وإيمانه. وجهاده وأدبه، ونبله، وهلم جرا من هذه الصفات والألقاب، والأوسمة

لا ثمن للحمه، ولا لدمه، ولا لثيابه، إن قيمة الإنسان إحسانه وإبداعه وتفوقه

و. وإنما معنيّ ثان توزن القيم، وتقاس الأشياء أهدافه ومبادئه

فلماذا لا يزيد الإنسان من قيمته؟ ولماذا لا يغالي بثمنه؟

يقول الدكتور مصطفى محمود

- قيمة الانسان هي ما يضيفه الى الحياة بين ميلاده وموته
- المشكلة هي الانسان .. الانسان هو الظرف الحاسم , والعامل المهم في الحياة , وحينما تنسد كل الأبواب أمامه يظل هناك باب مفتوح في داخله , هو الباب المفتوح على الرحمة الإلهية , وحينما يصرخ من اليأس فلأنه أغلق بيده هذا الباب أيضاً , وأعطى ظهره لربه وخالفه
- إن لم يشترك الشباب في صنع الحياة فهناك آخرون سوف يجبرونهم علي الحياه التي يصنعونها
- فبالحق نعيش وليس بالخبز وحده ابداء..... نصيبنا من الخلود هو مانضيفه الى وعاء الكل. اما شخوصنا وافرادنا فمصيرها الى العدم.
- وتغرب شمس الانسان دون أن يسأل نفسه سؤالاً واحداً بسيطاً .. لماذا أنا هنا ؟
- هناك مهمة ورسالة وتكليف , كل منا ينزل الى الأرض وفي عنقه هذا التكليف .. ان يضيف طوية جديدة الى القلعة الحصينة التي بنتها الحياة لتتحصن فيها وتقود منها التاريخ وتسوس الكون والطبيعة لصالحها ونحن مزودون من اجل هذه المهمة بكافة الأدوات الضرورية , بالعقل والإرادة والإصرار , ومزودون بتراث من العلوم والمعارف والخبرات.
- في الحياة رذيلتان اثنتان فقط: أن تكذب على نفسك , وأن تخاف من انسان يمرض مثلك ويموت مثلك , تخلص منهما وكن جري القلب تكن رجلاً فاضلاً

- قيمة الإنسان ونجاحه أن يكون في مكانه اللائق وأن يكون نفسه دون أن يمثل ودون أن يلبس ثوبا غير ثوبه أو يدعي دورا لا يتقنه

قيمتك = همّتك = همك الذي تحمل

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية:

العامة تقول: قيمة كل امرئ ما يحسن، والخاصة تقول: قيمة كل امرئ ما يطلب

وفي ضوء هذه القول الساطع .. ما هو قدرك عند الله؟! كم وزن عنده؟! ما قيمتك الحقيقية من غير أموالك وجاهك وسلطانك؟!!

تريد أن تعرف؟!!

(1) همك الآخرة

اسأل نفسك: أي همّ تحمل؟! دنيا زائلة ومتاع فان؟!!

وظيفة مغرية تمتص رحيق شبابك لتذبل بعدها زهرة حياتك؟!!

منصب مرموق تسعى إليه ثم تُعزل عنه عاجلا أو آجلا؟!!

امرأة تحبها ثم ينزل بكما الموت فتغادرها أو تغادرك؟!!

أم أن همّك جنة أبدية عرضها السماوات والأرض، يفوز بأعلى درجاتها من بلغ أعلى درجات الإيمان في لدنيا، وهل أعلى من العمل أجيرا عند الله لتبليغ رسالته ونشر هدايته؟!!

يقول الله تعالى (أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ) [الزمر:9] من الذي جعله ساجداً

وقائماً في الليل والناس نيام؟ بل الناس أمام الملهيات، وفي المباحات، ويتلذذون بالفرش والنساء. أما من هو ساجد

وقائم لم؟ ما الهم الذي يشغل قلبه؟ قال تعالى: (يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا

يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوَا الْأَلْبَاب) [الزمر:9]. هل يشغل قلبك هم الدار الآخرة أم أنك نسيت

يقول الرسول صلى الله عليه وسلم (من كانت الآخرة همه جعل الله غناه في قلبه وجمع له شمله وأتته الدنيا

وهي راغمة ومن كانت الدنيا همه جعل الله فقره بين عينيه وفرق الله عليه أمره ولم يأت من الدنيا إلا ما

كتب له)

(2) هم الأمة

من الهموم أخي الكريم التي لا بد أن تشغلك، هم هذه الأمة،

سمع رسول الله باكيا في سجوده: (إِنْ تُعَذِّبُهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِنْ تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ) [المائدة:118]

يردها ويبكي، ليلة من الليالي تقوم عائشة فتسمع النبي صلى الله عليه وسلم في الليل يبكي، فتقترب فإذا هو في

السجود، تعرف ماذا يقول؟ يقول: (اللهم أمي أمي، اللهم أمي أمي) انظر الهم الذي يقلقهم. (فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسَكَ

عَلَى آثَارِهِمْ إِنْ لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِذًا الْحَدِيثُ أَسْفًا) [الكهف:6]

و كيف لا تحمل هم الأمة

* وأنت ترى المنكرات تملأ الأرجاء حتى لو رأنا رسول الله لأنكرنا.

• وأنت تخرج للأسواق والشوارع فلا ترى غير شباب تائه يبحث عن فريسة تتعرض له وتهادي بين يديه!!

• وأنت تعيش في أمة المليار ومع هذا لم تحصد في ميادين الإنجاز سوى الأصفار!!

• وأنت ترى التبرج يستشري والعري يسري وحجاب بناتنا يدوي، وإن ارتدينه فمظهر لا جوهر وشخص بلا روح، فلا

سلوك يدل عليه أو آداب تبشّر به.

• وأنت ترى غزة الأبية وعراق الخلافة و اليمن وليبيا تنن تعاني ما لو مَرَّ بالحديد لذاب وبالوليد لشاب؟!!

• وقد علا صوت الباطل وخفت صوت الحق،

• والدعوة كل يوم تطلبك وتستصرخ نجتك وترتقب عودتك، ودينك الذي هو أعلى الأشياء أضحى وأمسى تحت القصف

ولا ناصر أو مغيث؟!!

(3) همك مواجهة شدة الهجمة:

يقول الإمام حسن البنا:

«... قد ينشأ الشاب في أمة وادعة هادئة، قوي سلطتها واستبحر عمراتها، فينصرف إلى نفسه أكثر مما ينصرف إلى أمته، ويلهو ويعبث وهو هادئ النفس مرتاح الضمير.

وقد ينشأ في أمة مجاهدة عاملة قد استولى عليها غيرها، واستبد بشؤونها خصمها فهي تجاهد ما استطاعت في سبيل استرداد الحق المسلوب، والتراث المغصوب، والحرية الضائعة والأمجاد الرفيعة. والمثل العالية.

وحينئذ يكون من أوجب الواجبات على هذا الشباب أن ينصرف إلى أمته أكثر مما ينصرف إلى نفسه، وهو إذ يفعل ذلك يفوز بالخير العاجل في ميدان النصر، والخير الأجل من مثوبة الله.»

يا غافلا ليس بمغفول عنه. يا غافلا عن كيد أعداء لا يغفلون عنه لحظة.

أمتنا اليوم تواجه عدوا شرسا .. كَشَّرَ عن أنيابه .. وأظهر ما كان مستورا في فؤاده .. سَخَّرَ طاقاته وثرواته لبلوغ مراده، وتحالف مع أمثاله لتعجيل أهدافه، أيواجه هذا كله بهم خائرة وعزائم مريضة وتسويق فعال وسط كومة أقوال؟! ومن هنا حمل هم الأمة وإيقاظها ودعوتها والتصدي لهؤلاء الأوغاد، لأنه يرى أن السكون إذا هجم العدو خيانة، ولأن المعركة محتمة ونبض كثير ممن حوله صفر!!

هذه المعركة التي خَلَّفَت أهات الثكالي، وأنات المعذنين، وأشواق المغيبين في سجون اليهود والظالمين، ورحم الله الإمام البنا حين استشعر هذه التبعة الثقيلة والمهمة المقدسة فقال يصف حاله وحال كل حي القلب وافر المروءة:

(ليس يعلم أحد إلا الله كم من الليالي كنا نقضيها نستعرض حال الأمة، وما وصلت إليه في مختلف مظاهر حياتها، ونحلل العلل، والأدواء، ونفكر في العلاج وحسم الداء، ويفيض بنا التأثر لما وصلنا إليه إلى حد البكاء ... ولهذا وأمثاله نعمل، ولإصلاح هذا الفساد وقفنا أنفسنا فنتعزى، ونحمد الله على أن جعلنا من الداعين إليه العاملين لدينه.)
إخوته .. ما أحوجنا اليوم إلى النائحة الثكلى وأغنانا عن أختها المستأجرة!
أنت .. نعم أنت!!

لكن يجب أن نعترف أن من محاسن هذه الهجمة الشرسة أنها جعلتنا نفظن إلى سر الانتصار ومعادلة الظفر ومفتاح القفل المحكم المؤدي إلى كشف الغمة .. إنه أنت!! نعم أنت.

يقول الإمام حسن البنا:

(إن تاريخ الأمم جميعا إنما هو تاريخ ما ظهر بها من الرجال النابغين الأقوياء النفوس والإرادات. وإن قوة الأمم أو ضعفها إنما يقاس بخصوبتها في إنتاج الرجال الذين تتوفر فيهم شرائط الرجولة الصحيحة. وإنني أعتقد - والتاريخ يؤيدني - أن الرجل الواحد في وسعه أن يبني أمة إن صحت رجولته.)

فلماذا لا تكون أنت هذا الرجل؟! أنت الأمل المرتقب ..

أنت المعجزة الربانية .. فكيف لا تسعى لنيل هذا الشرف وحياسة قصب السبق؟!
إذا قالوا:

الألى، خُلْنَا بَأْتَا الْقَصْدُ وَالْهَدَفُ يسير الناس إن سرنا، وإن قلنا: قِفُوا وقفوا

(4) همك دينك فهو لحمك و دمك

كان الحسن البصري يقول:

يا ابن آدم!! دينك دينك فإنه هو لحمك ودمك، إن يسلم لك دينك يسلم لك لحمك ودمك، وإن تكن الأخرى فنعود بالله، فإنها نار لا تطفئ، وجرح لا يبرأ، وعذاب لا ينفذ أبدا، ونفس لا تموت»

أخي في الدعوة .. ماذا تفعل لو أصابك جرح قاطع أدى إلى نرف مستمر؟! هل تتألم؟! وبعد الألم ماذا يكون إن لم يكن استدعاء الطبيب والهرولة إلى المستشفى قبل أن يؤدي الجرح -ولو كان صغيرا- إلى موتك!!

فهل جسدك أعلى عليك من دينك؟! هل إذا جرح دينك بتضييع حدوده وانتهاك حرمانه تُسرِع لإغاثته بالعمل له والبذل في سبيله، وتتردّد على مشافي الدعوة بدلا من التردد على ماتم الأحران في الزوايا والأركان؟! هل تنصر دينك بحركة تؤنّده وسعي حثيث يضمدّ جراحه، وإذا فعلت فهل يكون هذا بروح مضطربة عزيمة متقدمة أم بتناقل وبرود!!

وكان أبو الأعلى المودودي يقول في تذكرته القيّمة:

« إنه من الواجب أن تكون في قلوبكم نار مُتقدّة تكون في ضرامها على الأقل!!! مثل النار التي تنقد في قلب أحدكم عندما يجد ابنا له مريضا ولا تدعه حتى تجره إلى الطبيب، أو عندما لا يجد في بيته شيئا يسد به رمق حياة أولاده فتقلقه وتضطره إلى بذل الجهد والسعي.

وهذه العاطفة ما لم تكن راسخة في أذهانكم ملتحمة مع أرواحكم ودمائكم آخذة عليكم ألبابكم وأفكاركم، فإنكم لا تقدرون أن تحركوا ساكنا بمجرد أقوالكم.»

وهذا لأن شأن الدعوة شأن العلم، لا يعطيك بعضه حتى تعطيه كُلك، وبغير هذا لا يكون نتاج ولا حصاد ثمار.

5) هم الدعوة تلك الكفاية الغائبة:

ألا ترى قلة العاملين وكثرة المتهاونين وتصاعد الكيد وتمادي الكفر وأذئاب الكفر، ورأوا بأعينهم سرعة الهدم وسهولته مع بطء البناء ومشقته، وهروب كثير من بني قومنا عن الجنة وسعيهم حثيثا نحو النار، وسقوطهم من الحفرة التي صنعها لهم أعداؤهم والكمين المنصوب لهم، وأن الدعوة من الفروض الكفائية، وأن هذه الكفاية لم تتحقق إلى اليوم، لذا انقلبت إلى فرض عين، فعلينا أن نحمل هذا الهم الثقيل الذي تحوّل إلى عمل نبيل، فنضاعف الأوقات التي نبذلها، والأموال التي نقدّمها.

نعم أمانا بأن من لم يحمل همّ الدعوة ومسؤولية الدين فهو آثم في فقه أصحاب الهمم العالية، فتقدّموا الصوف ورفعوا اللواء. وهل هناك ما هو أهم وأحسن من الدعوة إلى الله؟!

والجواب حاضر في كتاب ربّك:

{وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ} فصلت: 33

يا صاحب الهم الكبير أنت خير بالأعمال (ومراتبها عند الله، ومنازلها في الفضل، ومعرفة مقاديرها، والتميز بين عالمها، وسافلها، ومفضولها وفاضلها، ورئيسها ومرؤوسها، وسيدها ومسودها؛ فإن في الأعمال والأقوال سيذا ومسودا، ورئيساً ومرؤوسا، وذروة وما دونها.

1) هي اصطفاء من الله وإنه لشرف عظيم ونعمة عظيمة أن اصطفاك الله من وسط خلقه لتحمل رسالته،

وتنال شرف الإتياع: إتياع النبي واقتفاء أثره، وكفى بهذه شرفا، فهذه وحدها كافية للحشر تحت لوائه ومجالسته على سير واحد في قصور الجنة، وهو ما علمته ثم عملت به -بارك الله فيك- حين غاب عن كثير ممن حولك.

يقول ابن القيّم:

(ولا يكون من أتباع الرسول على الحقيقة إلا من دعا إلى الله على بصيرة. قال الله تعالى: {قل هذه سبيلي أدعو إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني وسبحان الله وما أنا من المشركين}

تفسير لسبيله التي هو عليها، فسبيله وسبيل أتباعه: الدعوة إلى الله، فمن لم يدع إلى الله فليس على سبيل.)

2) وظيفة الأنبياء المرسلين وأتباعهم والدعوة إلى الله تعالى -كما علمك من ربّك ودعاك- هي وظيفة المرسلين

وأتباعهم، ولأنها أشرف المهام فقد سبقت غيرها من الأعمال كما أشار إلى ذلك ابن القيّم: (وتبليغ سنته إلى

الأمة أفضل من تبليغ السهام إلى نحور العدو لأن ذلك التبليغ يفعله كثير من الناس، وأما تبليغ السنن فلا تقوم به إلا ورثة الأنبياء وخلفاؤهم في أممهم جعلنا الله تعالى منهم بمته وكرمه.)
ولأن الدعوة سبقت غيرها من الأعمال فقد سبق حاملوها غيرهم من العباد. قال ابن القيم يصفكم ويثني عليكم:(وهؤلاء هم خواص خلق الله، وأفضلهم عند الله منزلة وأعلامهم قدرا .) ...
ولكن هذه الخيرية ليست مطلقة أو مرسلّة دون دليل، بل تسبقها صحائف الأعمال، وتتكلم عنها سجلات الإنجازات، وفي مقدمتها: كم من قتيل لإبليس قد أحيوه، وضال تائه قد هدوه، بذلوا دماءهم وأموالهم دون هلكة العباد.
3) **أنها نعمة ربانية ومنحة إلهية** في وجودكم نعمة ربانية ومنحة إلهية تستحق الحمد، فقال (من أجل هذا كلّه رأى عمر بن الخطاب) الحمد لله الذي امتن على العباد بأن جعل في كل زمان فترة من الرسل بقايا من أهل العلم يدعون من ضلّ إلى الهدى.)

فكيف لا تحتل الدعوة بعد هذا كله قمة اهتماماتكم وذرورة أولوياتكم، وكيف لا تتحرّقون شوقا للعمل في صفوفها ورفع لوائها؟!
أما الهمة الساقطة!!
وانظر بعدها إلى همم الناس حولك، هل تجدها اليوم إلا في زوجة حسناء وحلم بقصر مشيد ونزهة ومتعة وأكلة وشربة؟! هل ترى أكثرهم إلا حافظي أموال ومضيي دين!!
أما أنت .. فالحمد لله الذي عافاك، حملت أشرف هم وأجل غاية، فهِمُّك دعوتك، وشغلك رسالتك، ويحق لك أن تفرح بذلك وتفخر بذلك وتصدح في العالمين بذلك. قال الإمام البنا مخاطبا جمهور الدعاة غارسا فيهم هذا الشعور:
«ومن الحق الذي لا غلو فيه أن تشعروا أنكم تحملون هذا العبء بعد أن تخلى عنه الناس ..»
وهو الفخر الوحيد الممتد والباقي إلى يوم القيامة، حين تتساقط كل ألوان الفخر الزائفة من الفخر بالمال أو الحسب أو الجاه أو النسب، ولا يبقى سوى الفخر الوحيد الصالح للتداول يومها: الفخر بالطاعة واتباع الحبيب، ليحق لك عندها أن تهتف بهتاف ابن الوزير اليميني:

6) همك أداء الأمانة

والاستجابة لأمر الله الذي خاطب أحب الخلق إليه: وصاحب الرسالة يعلم أن هذا الخطاب يشملته ويشرفه. (قم فأندر)
جاء في التفسير:
• شمّر عن ساعد العزم وأندر الناس
• قم قيام عزم وتصميم
• (قم فاشتغل بالإنذار وإن آذاك الفجار.) ...
• (إنه النداء العلوي الجليل للأمر العظيم الثقيل ... نذارة هذه البشرية وإيقاظها، وتخليصها من الشر في الدنيا، ومن النار في الآخرة وتوجيهها إلى طريق الخلاص قبل فوات الأوان .) ... (قم فما يُعهد من صاحب رسالة نوم .. قم للأمر العظيم الذي ينتظرك، والعبء الثقيل المهياً لك .. قم للجهد والنصب والكد والتعب، قم فقد مضى وقت النوم والراحة.)
وكان هذا النداء الذي تردّد أصداؤه بيننا إلى اليوم إيذانا بشحن العزائم، وتوديعا لأوقات النوم والراحة، والتلفف بأثواب الهجوع، وكان إشعارا بالجد الذي يصنع الحدث ويرميّه في حجر أعدائه ليتفاعلوا معه، لا أن ينتظر كيد العدو ليتفاعل هو معه.
صاحب الهم يسبق الحدث لا ينتظره حتى يقع، ويسابق الزمن خوف الفوت، متوثباً إلى غايته النبيلة وهدفه السامي، وصوته الهادئ يبايع نبيه لأداء الأمانة موقعاً معه عقد البذل والاستشهاد يفهم مايرا منه .. افهم ما يُراد منك:

هو صاحب دعوة ينتظرها المسلمون في جميع الأرض، المحاصرون في غزة، والمعتدون في كشمير، والمفهورون في العراق، والمشردون في اليمن بل وكل من طالت محنته وأنهكتها المظالم. أنت اليوم في مواجهة حاسمة مع عدو متبجح يصل الليل بالنهار في سبيل اقتلاع دينك، أو على الأقل تركه في قلوب الناس صنما لا روح فيه، فماذا أنت صانع؟! أنت قائد التغيير البشري اللازم لوقوع التغيير الإلهي المرتقب، فكيف نطلبك فلا نجدك؟!

إن الدعوة كما وصفها بعض الفضلاء منهج تغيير كامل وثورة شاملة، إنها إبطال الباطل وإحقاق الحق، إنها أمانة عظيمة ورسالة كبرى، إن مهمة الداعية أن يقيم مكان كل باطل يمحوه حقاً، ومكان كل ضلال هدياً، ومكان كل شر يببده بدعوته خيراً يزرعه بعمله، ومكان كل ظلم عدلاً ينشره، ومكان كل رذيلة يمزقها فضيلة يؤسسها، ومكان كل تسلط بالبغي والكبرياء الآثمة تراحمها ومساواة.

يا ابن الدعوة .. يا صاحب الرسالة .. يا وريث أولي العزم من الرسل .. إنها الأمانة الثقيلة التي ناءت بحملها السماوات والأرض والجبال وحملتها أنت، فعلمت بذلك أنك لا بد أن تكون أقوى من السماوات والأرض والجبال!! فهذه الأمانة لن يحملها ضعيف متخاذل، ولا كسول متراخ ولن يصلح لها إلا الجد والقوة، وهذه هي لغة القرآن .. ألم تسمع: {يا يحيى خذ الكتاب بقوة وآتيناه الحكم صبياً* وحانئاً من لدنا وزكاه* وكان تقياً* وبراً بولديه ولم يكن جباراً عصياً* وسلاماً عليه يوم ولد ويوم يموت ويوم يبعث حياً} مريم: 12

أما وقد سمعت، فانزع عنك ما نسجته غفلتك من دثار وشعار، واقتل على الفور كل مبررات التخلف والأعذار. اعرف قدر نفسك .. وموضع قدمك .. يا مقتفي الأثر الرائع .. أثر محمد وصحبه: أنت لا يس لأمته في معركته مع الباطل أنت خليفته في دعوته أنت راقى منبره لتعظ الأمة من ورائه أنت وارث رسالته يا من تسلّم الراية منه قبل أن تسقط .. هل ستسقط منك الراية؟! يا من حمل شعلة الهداية من يده لتنير بها الوجود .. هل انطفأت بين يديك الشعلة؟!

(7) همك الجهاد في سبيل الله:

يا صاحب الهم .. مثلي ومثلك كان الأولى بهم أن يكونوا في ساحة الجهاد ويرتدوا بزة القتال الذي صار فرض عين على كل فرد منا بعد اغتصاب الأرض وتدنيس المقدسات، فإذا ما حيل بيننا وبين الجهاد، فكيف نبرهن على صدق نياتنا واشتياق قلوبنا للقاء عدونا وتحرير مسرى نبينا؟! كيف؟! والله ما من وسيلة ولا طريق لإسقاط وذر القعود عن الجهاد وإثم التخاذل عن نصرة إخواننا المستضعفين غير حمل هم الدعوة والاحتراق عملاً لديننا، فلا يصلح في هذا المضمار سوى أعمال الأبرار، وما سوى ذلك ليس سوى أوهام، فإن لم نبذل لديننا حال رخائنا، ولم تحديثنا نفوسنا بالغزو معظم وقتنا، فأخشى أن نموت على شعبة من النفاق دون أن نشعر.

خي صاحب الهم.. أنت مجاهد، والجهاد هو بذل غاية الجهد، فهل بلغت غايتك وأصبحت ذروتك في سبيل دعوتك؟! يا ابن الدعوة .. يا من يجري في عروقه دم الشهامة والركض في ميدان العلم والعمل .. أيها المجاهد البطل ..

أرأيت مجاهداً نائماً في ساحة قتال والرؤوس حوله تتطاير؟!

أسمعت عن بطل صال وجال دون نضال وملحمة؟!

8 همك مجابهة الشيطان و أعوانه

إن لم تهاجم شيطانك هاجمك، وإن لم تتعبه أتعبك، وإن لم تحمله على الركوض خلفك أركضك ذليلاً لاهثاً وراءه،
و حين تتخدر غيرتك على دعوتك وتبلى مشاعرك تجاه مصاب أمتك فاعلم أن الشيطان قد غزاك.
فبدلاً من أن تدعو غيرك إلى الخير يدعوك شيطانك إلى الشر، فتسقط صلاة الفجر من أولوياتك، وتضيع الأذكار
المأثورة من أورادك، ويضيع معها ذكر الله وحفظه لك، ويستمر الانهيار، لتسقط فريسة لأفلام تعرض من العري
والإثارة ما يسلب الإيمان، ويتفاقم الأمر وتتدهور الحالة فتنزّل بك حالة اللامبالاة، فلا شعور بالذنب أو تدارك للأمر.
وتذكر.. أنك حين تصون النعمة بشكرها تغيظ أعداءك الذين كادوا لك، وأرادوا صرفك عن هدفك، وإلهائك عن
غايته، فلا تأكل الطعم الذي ألقى إليك، لتصفعهم بهمتك العالية وثباتك على دعوتك، فيرتدوا خائبين لم ينالوا شيئاً.
و أخيراً احذر صراع الهموم!!

ثُمَّ أَنْزَلَ عَلَيْكُم مِّن بَعْدِ الْغَمِّ أَمَنَةً نُّعَاساً يَغْشَى طَائِفَةً مِّنْكُمْ وَطَائِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنفُسُهُمْ يَظُنُّونَ بِاللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ
الْجَاهِلِيَّةِ يَقُولُونَ هَل لَّنَا مِنَ الْأَمْرِ مِن شَيْءٍ قُلْ إِنَّ الْأَمْرَ كُلَّهُ لِلَّهِ يُخْفُونَ فِي أَنفُسِهِمْ مَا لَا يُبْدُونَ لَكَ يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا
مِن الْأَمْرِ شَيْءٌ مَا قُتِلْنَا هَاهُنَا قُلْ لَوْ كُنْتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ
عَلَيْهِم الْقَتْلُ إِلَى مَضَاجِعِهِمْ وَلِيَبْتَلِيَ اللَّهُ مَا فِي صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحَّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ { آل عمران:

154

فهؤلاء المنافقون لا همّ لهم إلا أنفسهم، لا همّ الدين ولا همّ النبي أو المسلمين، وكما لا يجتمع سيفان في غمد، فكذلك
لا يجتمع همّان في قلب، ولما كان أحب الأشياء لدى المنافقين أنفسهم، وأسباب الخوف على النفس لا تخلو منها الحياة،
لذا ولّوا وجوههم شطر أنفسهم، أما أصحاب الهم الحقيقي فقبلتهم دينهم، ويعيشون لأمتهم أكثر مما يعيشون
لأنفسهم، ويبدلون في سبيلها كل ما يستطيعون من جهد ووقت ومال، فبسببهم ينزل الغيث على الجميع ويعمّ
الخير، وهي إحدى صفتين لمحهما أبو الحسن الندوي في الإمام حسن البنا، ثم عمّمها على أي صاحب رسالة
حين قال:

(وقد تجلّت عبقرية الداعي مع كثرة جوانب هذه العبقرية ومجالاتها، في ناحيتين خاصتين لا يشاركه فيهما إلا
القليل النادر من الدعاة والمربين والزعماء والمصلحين: ولاهما: شغفه بدعوته واقتناعه بها وتفانيه فيها
وانقطاعه إليها بجميع مواهبه وطاقاته ورسائله، وذلك هو الشرط الأساسي والسمة الرئيسية للدعاة والقادة
الذين يجري الله على أيديهم الخير الكثير.)

وعلى الضد من هذا .. حين يغيب همّ الآخرة والأمة والدعوة عن قلوب أصحاب الرسائل ينشغلون بأنفسهم، وتكثر
أعمالهم وتقلّ ثمارهم، وتتعالى الأصوات ولا يقع البلاغ، وتودّي الأنشطة بغير روح فلا تصل إلى الروح.

فما علامة الهم بالدين؟

1 - قهر الأعداء

قال الله عز وجل في سورة النور: {إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِذَا كَانُوا مَعَهُ عَلَىٰ أَمْرٍ جَامِعٍ لَّمْ يَذْهَبُوا حَتَّىٰ
يَسْتَأْذِنُوهُ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَأْذِنُونَكَ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ فَإِذَا اسْتَأْذَنُوكَ لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ فَأَذَنَ لِمَن شِئْتَ مِنْهُمْ
وَاسْتَعْفِفْ لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ عَفُورٌ رَّحِيمٌ} [النور: 62]

نزلت هذه الآية. وأمرهم الله أن يستندوا، ليكون الاستئذان علامة فارقة بين المؤمنين الصادقين والمنافقين المتخاذلين.
والعجيب في الآية أن النبي صلى الله عليه وسلم أمر بالاستغفار لمن استأذن مع كونه صاحب عذر!! فكيف بمن تخلف
دون استئذان ولعله بغير عذر؟!

إنها تربية الصف المؤمن على أن يراجع كل منا نفسه، فكل تخلف عن فرصة خير هو في حقيقته حرمان من شرف
خدمة الدين، ولعله كان عقوبة على ذنب سلف أو تقصير فرط، أو لعله بعذر غير قاهر كان يمكن التغلب عليه، وكل

هذا يوجب الاستغفار. قال الألويسي وغيره: (فإن الاستئذان وإن كان لعذر قوي لا يخلو عن شائبة تقديم أمر الدنيا على أمر الآخرة.)

ولوضوح المعنى فقد رأى نفس الأنوار الإمام الرازي فقال:

(أن يستغفر لهم تنبها على أن الأولى أن لا يقع الاستئذان منهم وإن أذن، لأن الاستغفار يدل على الذنب.)
وفارق شاسع يا إخوتاه بين من تخلف عن فرصة خير فتألم وتفطّر قلبه وزاره الأرق بالليل فخرّ مستغفرا، وآخر تخلف دون أن يشعر بشيء أو قائمة أعداره سابقة التجهيز، الأول ينال أجره كاملا غير منقوص والثاني لا شيء له بل عليه!!
الأول فرد في طائفة) إن بالمدينة أقواما ما سرتهم مسيرا، ولا أنفقتهم من نفقة، ولا قطعتم واديا إلا كانوا معكم فيه وهم بالمدينة. حبسهم العذر.(أما الثاني عضو في فريق: **{وَلَوْ أَرَادُوا الْخُرُوجَ لَأَعَدُّوا لَهُ عُدَّةً وَلَكِنَّ اللَّهَ انبَعَثَهُمْ فَتَبَّطَهُمْ وَقِيلَ اقْعُدُوا مَعَ الْقَاعِدِينَ}** التوبة: 46

إن كثرة الاعتذارات هي ميراث أهل النفاق، وفي نظر صاحب الهم هي نذير خطر داهم يقترب، أو هي بمثابة قمة جبل الجليد الذي يظهر مقدار عُشره على سطح الماء بينما يختفي تسعة أعشاره، وكذلك كثير الأعدار لا يظهر من عيوبه إلا العُشر، وتسعة أعشار مساوئه متواري، ويظل الشيطان يقتات على البقية الصالحة من قلبه، لتظل عيوبه تتوالد مع تتابع قعوده، وسيئاته تتكاثر بتوالي اعتذاراته حتى يصل إلى النهاية الحتمية المؤسفة: تفرهته الدعوية وتبرد عزيمته الإيمانية، فيقعد عن السير مع القافلة المباركة.

2 - الرباط الرباط:

وكلنا اليوم وقوف على ثغر الإسلام ، في ظل هجمة شرسة على رسول الله وحرب سافرة على الإسلام وحملة عدوان ممنهجة تستهدف زلزلة ثوابت الأمة وتمييع عقيدتها ونهب ثرواتها، وكأنّ صوت رسول الله يهتف بيننا اليوم مستصرخا: من رجلٍ يكلونا اليوم؟!

فهل شعرنا ونحن في حقل الدعوة أهمية العمل لدين الله ، وهل استحضرنا نية المرابطة على الثغور ولو كان العمل الموكل إلينا بسيطا، وهل صاحبنا هذه الروح حتى في الأعمال التي يسدُ فيها الثغر سوانا، وفي كل مساراتنا الدعوية وتحركاتنا اليومية في سبيل نصرة الدين؟!

استنشق عبير الرباط المبارك وكأنك وحدك الذي أنيط به التكليف وتلقى الأمر، و اعلم أنك إن لم تقم بأي واجب من واجباتك الدعوية أصيب الدين في مقتل، وأنت السبب!!

3 - ذاتية الانطلاق والاستمرار:

صاحب الهم لا يحتاج إلى سماع صرخة استغاثة ضحية تحتضرين يديه لينتفض، ولا يحتاج إلى من يذكره بدوره بل هو من يذكر غيره، فما نزل بالأمة يوقظ الأموات ويطرد السبات.
يا صاحب الهم..

إذا وجدت صفا معوجا فقوّمه، وإن لم تجد صفا فكن أنت الصّف، ولك -إن فعلت- أجر السبق وثواب الأوائل وحسنات كل من اصطف خلفك وحذى حذوك!!

يا صاحب الهم ..

لا تحتاج مني أن أذكرك بأنك لست حامل رسالة بل صاحب رسالة، وفارق شاسع بين الاثنين.

أنت الذي تخاف على دينك ودعوتك وتبذل في سبيلها فوق ما تستطيع.

• أنت الذي تستفرغ كل ذرة جهد لها لا تبخل أو تدّخر.

• أنت الذي تنام وتستيقظ على همّ وحيد: أن تنتصر الدعوة وتسود.

• أنت الذي تستشعر أجَلَ نعم الله عليك: أنك قمت ونام غيرك، وبذلت وبخل غيرك، وسهرت ونام غيرك، وتأملت فعملت وتبلدت مشاعرهم فاستراحوا.

أنت صاحب همّ جليل وأمل نبيل لا يقطعه عنك سوى الموت.

يا ذاتي الانطلاق والحماس ..

أنت ما كنت يوماً إمعة ولن تكون ..

وأنا واثق أنك لن تنجرف مع تيار الغفلة المحيط بك إحاطة السوار بالمعصم، ولن يكون أقصى طموحاتك ومنتهى آمالك أن لا تتأثر به بل أن تُزيله من الوجود.

يا حامل الأمانة ..

لا يتحرك بمُحركٍ إلا خامل، وهذا لا يقوم إلا إذا سمع صيحة: قم يا فلان، ولست من هؤلاء، لذا لا تنتظر الخطط لتتحرك، ولا يعوزك التحفيز لتنتقل.

وأخيراً .. لا يفهم هذه المعاني إلا من يعانوا بحمل الهم وصاحب الهم ما كان يوماً على الدعوة عالية بل شامة، فأرنا التصدي للبذل؟.

4 - الإبداع الدعوي:

من علامات أن تكون مهموماً بدينك و دعوتك أن تُبدع في سبيلها كما أبدع أهل الباطل في سبيل باطلهم، ونحن أولى بالإبداع منهم، وقل لي بربك:

لماذا نرى الإبداع اليوم وكأنه حكر على الكفرة وخذّام الدنيا؟ ونبحث عن المبدعين من أجل الدين فنجدهم ندره. إن الإبداع الدعوي اليوم صار فريضة لازمة لأن زمن الرتبة انتهى وبدأ زمن السرعة والتجديد، وناشئة القرن الحادي والعشرين تترعرع في ظل شهوات دنيوية تغير ثيابها الزاهية كل يوم، وتتلون بألوان الطيف، وتتجدد على مدار الساعة لتخلب الأبصار وتُدخل الناس النار فماذا فعلنا نحن لإنقاذهم؟!

قلِّب الأنظار حولك: إبداع دنيوي يجيده أهل الباطل يتعالى كل يوم ويتطور كل لحظة، مما يجعل تقديم الهداية اليوم في ثوب قديم وأسلوب تقليدي لا يواكب العصر ويراعي المتغيرات صاذاً للأجيال الجديدة لنبوء نحن بالإثم ونرجع بوزر الصد عن دعوة الله!!

وتشتمل مجالات التفكير الإبداعي على:

(إيجاد البديل لكل رذيل وفق الضوابط الشرعية.

(ابتكار حلول للمشاكل التي تواجهها الدعوة على طريقة الماء الجاري!! وتأمل ماذا يفعل الماء إذا جرى ووجد أمامه عقبة؟!

(فتح أبواب جديدة لم تطرقها الدعوة من قبل:

عن طريق غزوات دعوية جديدة، وانتشارات في ميادين وساحات ظلت أبوابها زمناً مغلقة وأبوابها مؤصدة تنتظر الفاتح يا فاتح!!

(عدم الرضا بالواقع الدعوي والتطلع دوماً للأفضل في ظل تطوير مستمر للعمل حتى لا يكاد يؤدي العمل نفسه بذات الطريقة مرتين.

الإبداع وليد المعاناة وحمل الهمّ فماذا أبدعت من مشاريع لدينك وأفكار لدعوتك؟ حصيلة الهمّ: إبداع. فأين حصيلتك؟!

واعلم أن الفشل أبو الإبداع

كيف أيأس ولي في كل خطوة اغتراف أجر جزيل ورضا رب جليل {وَلَا تَهِنُوا فِي ابْتِغَاءِ الْقَوْمِ إِنْ تَكُونُوا تَأْمُونًا فَإِنَّهُمْ يَأْمُونُ كَمَا تَأْمُونُونَ وَتَرْجُونَ مِنَ اللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا} النساء: 104

أخي رقيقير في الهم .. هل لي أن أقول لك:

كلمة الفشل لا وجود لها في قاموس صاحب الرسالة، وأي تعثر دعوي اليوم إن سُمِّي فشلا فعلى سبيل المجاز، أما هو في حقيقته فهو ذروة النجاح لأنه سلم نحو النجاح، فالبس ثوب التجربة والمحاولة، ودع عنك قول: لست لها، واجعل مكانها: أنا لها.

وإن حدثتك النَّفس أنك قادر على ما حوت أيدي الرجال فجرب
ماذا عليّ أن أفعل؟!!

اعقد جلسات العصف الذهني الموجه مع إخوانك في الهمّ وزملائك في حمل الرسالة.
لا تستعجل في الحكم على الأفكار الجديدة ورفضها بل رجب بالأفكار الجديدة، ثم ابن عليها لتصبح مع التطوير والتعديل مناسبة

اجعل بصرك حادا في مشاهداتك اليومية لتلتقط الأفكار الجديدة حولك وتسخر مثلها وأفضل منها لدعوتك.
أهم من الفكرة تنفيذها، ويمكنك استخدام محصلة ضرب التكلفة في الفائدة لتعرف أسس التعامل مع الفكرة:
o تكلفة قليلة + فائدة كبيرة = نفذ على الفور
o تكلفة قليلة + فائدة قليلة = نفذ على الفور
o تكلفة كبيرة + فائدة قليلة = ارفض الفكرة
o تكلفة كبيرة + فائدة كبيرة = ادرس الفكرة بعمق لقبولها أو رفضها.

ركّز على نقاط قوتك أكثر من نقاط ضعفك.

قد تقضي الأعوام في معالجة نقاط ضعفك، وقد تنجح في ذلك قليلا أو كثيرا، لكنك لو نظرت في ما أنت متميز فيه وعملت على تسخيره لدينك لكان ذلك أيسر عليك وأريح لدعوتك.

5 - المظهر مع الجوهر

يا صاحب الهم ..

يقول الإمام البنا رحمه الله:

(أستطيع أن أتصورَ المجاهد شخصا قد أعدَّ عِدَّتَه، وأخذ أهبتَه، وملك عليه الفكر فيما هو فيه نواصي نفسه وجوانب فكره، فهو دائم التفكير عظيم الاهتمام على قدم الاستعداد أبداً إن دُعي أجاب، أو نودي لبي، وغدوه ورواحه وحديثه وكلامه وجده ولعبه، لا يتعدى الميدان الذي أعد نفسه له، ولا يتناول سوى المهمة التي وقف عليها حياته وإرادته، يجاهد في سبيلها، تقرأ في قسماات وجهه، وترى في بريق عينيه، وتسمع من فلتات لسانه ما يدل على ما اضطرم في قلبه من جوى لاصق وألم دفين، وما تفيض به نفسه من عزيمة صادقة وهمة عالية وغاية بعيدة.)

يشير بذلك إلى ما تعارف عليه علماء القلوب وأجمعوا عليه من أن «لسانك ترجمان قلبك؛ ووجهك مرآة قلبك؛ يتبين على الوجه ما تُضمر القلوب»، فيعلم بذلك كل صاحب رسالة حقيقة نسبه وصدق انتمائته لهذه الدعوة. و نوصيك بالمظهر بأربعة خصال :

- الخلق الحسن
- الحرص على لغتنا وعدم استخدام اللغات الأجنبية
- ترك الأناقة الزائدة:
- الحجاب المتبرج: انهارا بالوسط المحيط المتدني، وتلبية لغريزة المرأة في التزين ولفت الأنظار، فتخلع الأخت خمارها السابغ، وترتدي الملفت من الألوان والمزركش من الثياب، ولا يعود الحجاب حاجبا للزينة بل مصدرا للزينة.

6 - الحزن الحقيقي:

علام حزنك؟ علام حزنك؟ علام حزنك؟

كان النبي - صلى الله عليه وسلم - يحزن وتكاد روحه تزهق؟! علام؟! اسمع ما خاطب الله عز وجل به حبيبه قائلًا:

{فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسِكَ عَلَىٰ آثَارِهِمْ إِنْ لَمْ يُؤْمِنُوا بِهَذَا الْحَدِيثِ أَسَفًا} [الكهف: 6]

أي مرهقٌ نفسك، ومتلفٌ جسدك، وأنت تطلب هداية قوم يُعرضون عنك، وتريد لهم الخير فيهربون منك، وتقديّم لهم الجنة فيقتجمون النار!!

فهل شابه قلبك قلب نبيك؟ وهل شعرت بما به شعر؟! إنه الحزن على حال الغافلين من أمتنا، أو الحسرة على فرصة هداية سنحت، أو غنيمة دعوية سهلة ضاعت، وكم من قلوب احترقت همًا من أجل دينها ففاحت عطرا شذيا يجذب الناس إليها، وكم من نفوس ضاقت لحال أمتها فوسّع الله لها أرجاء الأمل والعمل، وكم من عبارات سألت في المحن فارتوت منها الهمم ومزّقت عن الأمة كفن الوهن.

7 - التضحية:

صاحب الهم بالدين و الدعوة يتقلب بين ألوان التضحية المختلفة، فمنها التضحية:

ببالراحة:

ومن مفردات الراحة مكوث المرء في بيته، هؤلاء علموا أنهم إن استراحوا غزاهم الشيطان في عُقر دارهم وغرفات نومهم، وتأمل مقالة أبي حامد الغزالي - رحمه الله تعالى المنبثقة عن مشاهداته: (اعلم أن كل قاعد في بيته - أينما كان - فليس خالياً من هذا الزمان عن منكر من حيث التقاعد عن إرشاد الناس وتعليمهم وحملهم على المعروف.)

ببالمال:

- صاحب الهم يسخر ماله لدينه ويوظفه لدعوته، لأنه علم أن المال مفارقه لا محالة لذا أخرجه طواعية مثابا قبل أن يخرج عنه مُجبرا مُهاناً في صفقة تجارية خاسرة أو حادث مفاجئ أو نفقات علاج مرض خطير.
- صاحب الهم يدرك أن الله سائله عن ماله فيم أنفقه، وأن أكثر ما يُفِرُّ الرب هو إنفاق المال لنشر دينه ينفق ماله في سبيل الله ولو كان في أمس الحاجة إليه.
- صاحب الهم يخاف تبعة الغنى حين يرى بعيني رأسه عددا من إخوانه لما كثر المال لديهم أصبحوا عبيد للمال، وانشغلوا عن رسالتهم ودعوتهم بعد أن كانوا رفقاء الأمس وشركاء الهم والأجر.
- صاحب الهم يرى أن عقارب الساعة تطارده وملك الموت يلاحقه، لذا يبادر بالإنفاق قبل أن يغادر ساحة هذه الحياة.
- صاحب الهم يرى في إنفاقه فضل ربه عليه فلا يرى نفسه ولا إحسانه وإنما يرى ربه وإحسانه.

بكماليات الحياة:

يرهق نفسه بأقساط تكبّله ثم يتعلل بكثرة مسؤولياته وثقل أعبائه ليبرّر بخله ويُسوِّغ لنا تخلفه، ويعد إخوانه أنه لن يتأخر عن الدعوة بماله، وما درى أن الشيطان قد اصطاده في كمين محكم، وأن مسألة تساقطه مسألة وقت!! وهذا مثله كحمار خرج يطلب قرنين فعاد بلا أذنين!!

ببالوقت:

أوقاتهم كلهم لله، فلا يحصرون وقت الدعوة في نشاط محدود بل كل سكناتهم وحركاتهم مسخرة لدعوتهم، إن طُلبوا وُجدوا، وإن دعاهم دينهم لبّوا.

كمال التضحية

أصحاب الرسالة عشاق كمال، فنحن عشاق الكمال، ومن كمال التضحية: المداومة على التضحية حتى يتعوّد القلب لذة العطاء كما اعتاد لذة الأخذ.

ومن كمال التضحية: الفرح بالتضحية كما قالت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها في شأن أبيها أبي بكر ... : (ما علمتُ الرجل يبكي من شدة الفرح إلا يومئذ حينما رأيت أبي يبكي من شدة الفرح)

ومن كمال التضحية: الثبات على التضحية حتى الممات

عن عبد الله بن شقيق قال: (سألت عائشة: أكان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يقرأ السورة في ركعة؟ قالت: المفصّل.)

قال: قلت فكان يصلي قاعدا؟! قالت: حين حَطَمه الناس.)

وحطمه الناس: تُقال للرجل إذا كبر عمره وصار شيخا، ويُقال: حطم فلانا أهله إذا كبر فهم كأنه لما حمل من أمورهم وأنقالهم والاعتناء بمصالحهم صبروه شيخا محطوما.

والمنتظر منك يا من قدوته نبيه أن تقتفي أثره وتقلد، فتواظب على دعوتك شابا وشيخا، صحيحا وسقيما، فارغا وشغولا حتى يحطمك الناس في سبيل الله، ويمتصوا مجهودك وأنت تدعوهم حتى آخر رمق، ويقطفوا ثمرة فؤادك من فرط حرصك على هدايتهم وأنت تُسلم الروح، ترجو بذلك تحقيق التأسّي الكامل بحبيبك - صلى الله عليه وسلم - الذي كان يقول عند موته: (الصلاة الصلاة وما ملكت أيمانكم .)

أحبته .. اذكروا أن التضحية وقود الدعوات، وأنه كلما عظمت التضحيات كبرت مكاسب الدعوة، واقترب نصرها ودنت غاياتها.

وبقدر ضخامة الهدف تكون التضحية من أجله، وقديما قالوا: من عرف ما يطلب هان عليه ما يبذل، وطلبنا أن نعيد لهذا الدين عزه، ونرد له مجده المستباح وكرامته السليبية، مرادنا أن تعود الشريعة الغراء ترفرف في سماننا، وأملنا الذي يحدونا أن نرفع الظلم عن إخواننا في كل بقاع الأرض. ألا تستحق كل هذه الأهداف الجليلة منا التضحية في سبيلها .. ألا نسترخص في سبيل ذلك العرق والجهد والألم والبلاء؟

وقفه فوثبة!!

وقفه حساب هل تحمل هم الدين و الدعوة ؟

أهل الباطل يبذلون في سبيل الباطل ليدخلوا النار، فماذا بذلتُ أنا في سبيل الحق لأدخل الجنة؟! (حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا). هل جلست مع نفسك يوما في لحظة صفاء وصدق تسألها:

1. ما هو الأثر الذي سأتركه خلفي؟!
2. ما هي القُربى التي أرجو أن يصلني ثوابها بعد موتي؟!
3. كم مضى من عمرك، وماذا قدّمت فيه لدينك؟!
4. راجع النعم التي اختصّك الله بها وانظر فيم سخّرتها؟!
5. هل استحوذت عليها دنياك أم ادّخرت منها شيئا لدينك الجريح وقومك المغلوبين؟!
6. هل تعمل لدينك وتبذل لدعوتك ما دمت فارغا، فإذا عرفتك الأسواق وصفقات التجارات توارت الدعوة عندك إلى الأولوية العاشرة؟!
7. هل تقدّم لدعوتك هوامش أوقاتك وفضلة حياتك؟!
8. هل تسعى لمد الدعوة بروافد جديدة كما تسعى لمد راتبك بموارد جديدة؟!
9. هل يؤرّقك نشر الهداية وتوسيع رقعة الصالحين كما يؤرّقك السعي على الرزق وتأمين حياة أبنائك المقرّبين؟!

ألا ما أحلى هذه الجلسات التأملية المباركة التي يعقها القرار الحاسم والقفزة الجريئة نحو البذل الفريد والتضحية الفدّة.

8 - يغتنم فرص للدعوة :

، فقد مرَّ النبي - صلى الله عليه وسلم - يوماً بجدي أسك ميت فقال لأصحابه: (من يشتري هذا بدرهمين؟) فسكتوا، فقال: من يشتري هذا بدرهم؟ فقالوا: يا رسول الله لو أنه كان حياً لما رأينا فيه حاجة، فقال- عليه الصلاة والسلام: (لهوان الدنيا على الله أهون من هذا عليك.)
فالنبي - صلى الله عليه وسلم - اغتنم هذه الفرصة فرمى رميته، لأنه ليس في كل مرة تتاح الفرصة، ويكون الصيد في ظرف مهياً، ومن غفل هرب الصيد منه وندم على ذلك.
يوسف عليه السلام يدعو أصحابه في السجن

9 - تحقيق الأهداف الدعوية:

يا صاحب الرسالة ..

كن محدداً .. وضع لك هدفا دعويًا كل فترة، ولا تنس الوقت المناسب للإنجاز:
دعوة جارلك، نشر الهداية إلى زميل عمل، فتح مقراًة في مسجد أو جامعة، الخروج من رمضان بغنائم مضاعفة، دعوة أخت إلى درس أو مقراًة، وهذا كله يدل على الطموح الدعوي، فلا يوجد صاحب الرسالة يقنع بحاله، لأنه يعلم أن التؤدة في كل إلا في عمل الآخرة.
ومن الوصايا:

• اكتب كل الأهداف التي تريد تحقيقها، ثم اختر منها هدفين أو ثلاثة وركز عليها خلال فترة زمنية محددة.
• راجع أهدافك بشكل دوري، واحرص على تحديثها، واكتبها بخط عريض، واجعلها في متناول يدك وأمام عينيك.
• ضع مواعيد نهائية للإنجاز، فالمواعيد النهائية تزيد من البذل والعمل، وكلما اقترب الموعد النهائي لإتمام العمل كلما بذلت ما في وسعك لإنهائه.

• قسِّم الهدف الكبير إلى مجموعة من الأهداف الصغيرة، وضع لكل منها موعداً شهرياً أو أسبوعياً أو يومياً.
• إذا لم يتحقق الهدف ظاهراً، فراجع نفسك وابحث عن أسباب التقصير، ثم استدرك غير يائس يسري عنك:
فعليك بذر الحب لا قطف الجنى والله للساعين خيرُ ضمير

على كفة الميزان

- 1 - هل تجلس مع نفسك كل يوم ولو خمس دقائق ليس لك فيها هم ولا غرض إلا أن تحاسبها على ما بذلت اليوم لدينها؟!
- 2 - هل تعاتب نفسك وتتألم إن قصرت في أي واجب من واجباتك الدعوية؟!
- 3 - هل تقهر أعدارك أم تتخذها ذريعة للتخلف؟!
- 4 - هل قدمت فكرة جديدة لدعوتك خلال الأشهر الثلاثة الماضية، وهل ثابتت عليها حتى خرجت إلى النور؟!
- 5 - هل تحول طاقة حزنك على مذابح المسلمين ونكباتهم إلى طاقة عمل؟!
- 6 - هل تؤثر الدعوة بوقتك مهما كنت مشغولاً؟
- 7 - وفي حال انشغالك هل تأخذ من وقت راحتك لدعوتك أم تُسقطها واجباتك من جدولك؟
- 8 - هل لا تتحرك إلا بتوجيه إخوانك وصيحة: قم يا فلان؟!
- 9 - هل تحرص أن يكون لزوجك نفس همك فتساهم في نشاطات الدعوة؟! وهل تتحمل عنها قليلاً من أعباء البيت في سبيل ذلك؟!
- 10 - هل تقوم نيتك الصادقة بالمهمة ويتكفل قلبك بالعمل إذا واجهتك عقبة أعافتك عن عمل دعوي فلم تشارك، فتتال مثل أجر العاملين؟!

سنن و آمال

سنن ثابتة فأبشر

(1) دمع الحق بالباطل :

قال الله عز وجل : { بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ وَلَكُمُ الْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ } [الأنبياء:18]. تأمل فيما توحى به كلمتا (الحق) و (الباطل) المعرفتين ، فليس هناك عند الله سوى حق واحد ليس له ثان ، وليس سوى باطل واحد ماله شبيهه ، تلك سنة ربانية وقانون إلهي : لا بد يستوي الحق على سوقه ويبلغ أشده ويصير ناصعا ليس فيه شائبة واحدة من شوائب الباطل ، ويتميز الباطل كذلك حتى لا تعود فيه بارقة حق أو ذرة خير حتى تأخذ هذه السنة موضع التنفيذ ، ومعنى هذا .. وجريا على هذه السنة : لا بد من ازدياد الباطل طغيانا وفجورا وعدوانا وظلما ، وازدياد الحق سموا وإيمانا و يقينا وطهرا حتى يتحقق هذا القانون الإلهي بدمع الحق بالباطل فرهوقه ودحره وموته ودفنه.

لا بد لك إذن من معرفة بالحق معرفة واعية تدفعك إلى الإيمان به كاملا ، والعمل له دائما ، والتضحية من أجله دائما حتى يدمع حقا باطل المبطلين ،

(2) لا يمكن المرء حتى يُبتلى :

لا يرى المؤمن في المحنة إلا اختبارا لبطولته وتفجيرا لطاقته وإذكاء لعزمه ، يراها تحديا لمارد الإيمان فيه الذي لو استيقظ لدخلت الفئران ججورها.

أخي .. هل يظهر الأبطال إلا وقت الشدائد؟! وهل يخرج الداهية الحصيف إلا من المشكلات المعقدة؟! وهل تتلاءم الأجزاء المبعثرة إلا بالضغط؟! وهل يصنع الرجال غير المحن؟! وهل يبرق الذهب بغير أن يصلى النار (أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَمَا يَعْلَمُ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَيَعْلَمُ الصَّابِرِينَ) [آل عمران:142].

أخي .. هل أمتك مجازر المسلمين ورخص دمائهم فإذا هي أرخص من ماء البحر في الوقت الذي تصاب فيه الدنيا بالأرق من أجل رهينتين غريبتين !!

أخي .. ألم تتحرك فيك روح الجسد الواحد بعد !!!

أخي .. أتولي الأدبار وتتذرع بالأعذار وتبكي كالنائحة الثكلى من غير عمل على ما حلّ بالإسلام !! أهذا هو الوجه الذي تحب أن يراك الله عليه؟! أهذه هي قوة القرآن التي أمدك بها؟! ابتلاك ربك ليرى بطولتك فهربت !! واختبرك ليرى انتفاضتك فنكصت !!

كما ربّي موسى

الدرس الأول : ألقى موسى العصا فانقلبت ثعبانا ، فخاف ، نعم خاف موسى .. خاف وهو النبي الموحى إليه من ربه ، فأتاه النداء العلوي : (خُذْهَا وَلَا تَخَفْ سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا الْأُولَى) [طه: من الآية21] .. يا موسى : ثق في موعود الله .. كن مع مراد الله .. أمسك الثعبان .. من رأسه .. نعم .. أمسكه من رأسه .. لا تضطرب .. إياك أن ترتاب لحظة .. اقهر خوفك .. اهزم شكك .. أطع ربك .. أغض شيطانك ، فلما لى موسى نداء الله وأمسك الثعبان انقلب مرة أخرى في يديه خشية!!

الدرس الثاني : وقت مواجهة السحرة أمام فرعون .. رأى موسى الأفاعي من حوله فخيّل إليه من سحرهم أنها تسعى .. فخاف مرة أخرى .. أهاله تجمع الأعداء .. أفزعته حشود الكفر .. وتسرب الخوف إلى قلبه .. لم يكتمل صنعه على عين الله بعد .. فجاءه الصوت الإلهي الرهيب : (لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنْتَ الْأَعْلَى) [طه: من الآية68] لتسري هذه الكلمات اطمئنانا يجري في العروق ويقينا يغمر القلب.

ثم جاءت اللحظة التي سيظهر فيها نتاج التربية الربانية وغرس العناية الإلهية ... فالبصر من أمامه وفرعون وجنوده من خلفه .. اضطرب أصحابه لكنه ازداد هدوءا .. فزعوا لكنه ابتسم .. اهتزوا لكنه ثبت .. صرخوا فزعين : (إِنَّا لَمُدْرِكُونَ)

[الشعراء: من الآية 62] فانبرى الآن بعد أن اكتمل صنعه على عين ربه وتمت صياغته وفق مراد الله قائلًا في يقين : (كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ) [الشعراء: 15] يقولها وملء قلبه الثقة بربه واليقين بعونه والتأكد من نجاته .. نعم هو لا يدري كيف ستكون النجاة لكنها كانت لا محالة.

(3) الإستيأس والنصر قرينان!! :

قال تعالى : (حَتَّىٰ إِذَا اسْتَيْأَسَ الرُّسُلُ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِّبُوا جَاءَهُمْ نَصْرُنَا فَنُجِّيَ مِنْ نَشَاءٍ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُنَا عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ) [يوسف: 110].

هذه صورة يَجَلُّ فيها اليأس على القلوب ، و يُخَيِّم القنوط على النفوس ، و إنها لصورة من أشد الصور و أخطرها ، ومع هذا فإن النصر لا ينزل على العباد إلا عندها ، وبعد اليأس من كل أسبابه الظاهرة التي يتعلَّق بها الناس . و (إنها لساعة رهيبة ، ترسم مبلغ الشدة و الكرب و الضيق في حياة الرسل ، و هم يواجهون الكفر و العمى و الإصرار و الجحود ، و تمرُّ الأيام و هم يدعون فلا يستجيب لهم إلا القليل ، و تكثرُ الأعوام و الباطل في قوته ، و كثرة أهله ، و المؤمنون في عدَّتْهم القليلة ، و قوتهم الضئيلة) ، فافرح -أخي- بمثل هذه الساعة لا لذاتها ، و لكن لما فيها من بشائر النصر القريب وعلامات الفجر الواعد .

ماذا نعني بالإستيأس؟!

استفراغ أسباب النصر المادية والإيمانية دون أن نرى نصرا مؤزرا وفتحاً قريباً ، وعندها تكفر القلوب بالأسباب وتركن إلى رب الأسباب.

كيف تيأس وربنا سبحانه تعالى يقول : (وَلَا تَيَاسُوا مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِنَّهُ لَا يَيَاسُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ) [يوسف: من الآية 87].

كيف تيأس وأنت تعلم أن من تحلَّى بالقنوط فهو متخلق بأخلاق الضالين (قَالَ وَمَنْ يَفْنَطْ مِنْ رَحْمَةِ رَبِّهِ إِلَّا الضَّالُّونَ) [الحجر: 56].

إن الأمة التي كان من خصائص قائدها محمد - صلى الله عليه وسلم - قوله (ونصرت بالرعب مسيرة شهر) يكون عارا عليها أن تستسلم لليأس وتعرض للإحباط وتخضع للهزيمة.

ليس لليأس إلى قلوبنا سبيل ، ولا نعرف له معنى ، حروفه ليست في قاموسنا ، أنباؤه يُسأل عنها غيرنا ، " أكبر الكبائر الإشراف بالله ، والأمن من مكر الله ، والقنوط من رحمة الله ، واليأس من روح الله ."

(4) نصر يقود إلى نصر:

أخي : قال الله تعالى : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ) [محمد: 7]

أخي : هل تخلف وعد الله أم أنك لم تحقق الشرط ؟!! .. إني سائلك فاصدق نفسك قبل أن تصدقني :كيف ينتصر على عدوه من غلبه النعاس فانهزم أمام نفسه في معركة (صلاة الفجر) ؟!! ..

من خان حي على الصلاة خان حي على الكفاح شعب بغير عقيدة ورق تدرّبه الرياح

كيف تنتصر أمة لا تقوى نساؤها على الانتصار على شهوة نفوسهن وحب التزين في (معركة الحجاب) ؟!!

أخبرني : هل فتحت كتاب الله فقرأته و عملت بما فيه ؟!! ..

هل جعلت قدوتك رسول الله و طرحت عنك أبا جهل ؟!! ..

هل جعلت همك نصرة الإسلام و المسلمين ؟!! ..

هل قمت في السحر فدعوت الله لإخوانك ؟!! ..

هل قاطعت سلع الأعداء و بضائعهم ؟!! ..

هل فعلت كل ذلك أم تخاذلت ؟!! ..

أخي : تهتفت وتقول أريد أن أحرر الأقصى وأرجو نصرة المسلمين وأنت غارق في وحل الذنب وطين الغافلين .. قبل أن

تحرر الأقصى حرر نفسك ، وقبل أن تنصر المسلمين انصر إيمانك ، فالطريق من هنا ..

أخي : إن نصر الله طائر يجوب في أعالي السحاب ، ولن ينزل إلا إذا وجد العش المناسب ، فإذا وجده نزل ، فمن منا سيجهبز العش؟!
أخي : أنت من أبناء خير أمة أخرجت للناس ، فأعلِّ همتك وقوِّ عزيمتك ، وإذا أصبت بمحنة فانتفض انتفاضة الأسد الجريح ، وقل لنفسك :
لجدد معي عمل ، وللنصر في قلبي أمل ، وأنا للخطب الجلل.

(5) حتى يغيروا ما بأنفسهم :

قال الله عز وجل : (**إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ**) [الرعد: من الآية 11]
وفي الآية إرادتان : إرادة الله وإرادة البشر ، (إرادة البشر) معناها أننا إذا غيّرنا ما بوسعنا ، وحشدنا كل طاقاتنا ، وحفّزنا كل خلايانا ، وبذلنا آخر ذرات جهودنا ، وسكبنا آخر قطرة من قطرات العرق ، عندها وعندها فقط تتدخل (إرادة الله) الإرادة العظمى والقوة التي لا تغلب ، والتي ينتظر الكون إشارة واحدة منها (كن) ليمتثل صاغرا ذليلا ، ومعنى هذا أن يغيّر الله تغييرا على قدره الجليل وإن لم يغيّر نحن إلا على قدرنا المحدود الذليل ، فتتغيّر أحوال ما كان بخيال المسلمين أن تتغيّر : تلعو أمم وتسقط أمم ، وتقوم دول وتهار أخرى ، لكن تدخل (إرادة الله) مشروط ببذل أقصى الطاقة ومنتهى البذل من (إرادة البشر).

في الأحزاب سقطت الأسباب

ولنا في غزوة الأحزاب النموذج والمثل ، فإن طاقة المسلمين المحدودة ما نصرتهم ، لكنهم استفرغوا الوسع في بذل الجهد حفرا للخندق ، ومكابدة لقلّة الزاد ، وتحملا للحصار المحكم المحيط بهم إحاطة الهائلة بالقمر والأكام بالثمر ، وعندها وقف العجز البشري على عتبة القدرة الإلهية التي تدخلت ، فقذفت بالإيمان في قلب قائد من قادة الكفر هو نعيم بن مسعود ، الذي ذهب إلى النبي - صلى الله عليه وسلم - معلنا إسلامه فقال له : خذِلْ عنا القوم ، فاستغل نعيم ثقة كل من اليهود والمشركين به ، وأوقع بينهم الشقاق وبث بينهم الفرقة ، فبدد جمعهم وانسحبوا خائبين ، ثم تدخلت هذه إرادة الله مرة أخرى .. فبعثت الريح العاصفة لتستأصل شأفة الأحزاب من الجذور وتجلبهم عن الدور.
إذن .. نصر الله المسلمين في الأحزاب .. بمن؟! بقوة المسلمين؟! بتخطيط النبي الأمين؟! كلا .. وإنما برجل من الكافرين ، وفي هذا درس جليل لكل متألم على أحوال أمته .. عامل على نهضتها : لا تشغلوا نفوسكم : كيف سننتصرومى سننتصر ، فتضلوا في متاهات الأسباب والأمر برمته بيد رب الأسباب ، فسلموا الأمر له ، واشغلوا قلوبكم فقط بمفتاح النصر وسر العلو وعنوان الكرامة وراية المجد : (**حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ**) [الأنفال: من الآية 53].

الأمل

(1) الظلم مع الكفر مهلك :

قال الله عز وجل : (**وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَىٰ وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ**) [هود: 102] قال الإمام ابن تيمية : إن الله ليقوم الدولة العادلة وإن كانت كافرة ، ولا يقيم الظالمة وإن كانت مسلمة ، و الدنيا تدوم مع العدل والكفر ، ولا تدوم مع الظلم والإسلام.

وقال الإمام القرطبي : إن الجور والظلم يخرب البلاد بقتل أهلها ، وانجلائهم منها ، ويرفع من الأرض البركة.
أخي .. لقد حرّم الله الظلم على نفسه ، وجعله بين عباده محرّماً ، ورفع دعوة المظلوم -ولو كان فاجرا- فوق الغيوم ، فأقرب الأشياء مصرع الظلوم ، وأنفذ السهام دعوة المظلوم. قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : " ثلاثة لا تردّ دعوتهم : الصائم حين يفطر ، والإمام العادل ، ودعوة المظلوم يرفعها الله فوق الغمام ، ويفتح لها أبواب السماء ، ويقول لها الرب : وعزّي وجلالي لأنصرتك ولو بعد حين ". صحيح
وإذا كان هذا كله في عموم الناس المسلم والكافر ، فكيف إذا كان المظلوم أمة مسلمة ، والظالم لها كافر لا يؤمن بالله رباً ، ولا بمحمد نبياً ، ولا بالإسلام ديناً.

قال - صلى الله عليه وسلم - : " لا يزال الله يغرس في هذا الدين غرسا ، يستعملهم فيه بطاعته إلى يوم القيامة " .

صحيح

الله هو الذي يغرس ، فالمعركة في حقيقتها ليست بين أهل الحق وأهل الباطل ، بل بين الله وبين أهل الباطل .. هو الذي يديرها ويرعى فصولها ، ويهيئ بحكمته جنوده للمعركة الحاسمة فيها (إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا * وَأَكِيدُ كَيْدًا) [الطارق:15:16].

وما كان الله ليضيع غرسه ، فيدعه نهبا لكيد المبطلين ، ولقمة سائغة في أيدي الكافرين ، بل يحوطه ويحرسه ، ويرعاه ويُنمّيه ، حتى يستوي على سوقه ، يُعجب الزراع ويغيظ الكفار.

أخي .. جذوة الإسلام لن تُطفأ أبدا !! من كان يظن بزوغ قائد كصلاح الدين ليعيد الأقصى بعد واحد وتسعين عاما من احتلال الصليبيين ، أو خليفة زاهد كعمر بن عبد العزيز الذي لما تولى الخلافة كان بعض المسلمين يشرب الخمر جاهلا حرمتها فأحيا سير الراشدين ، أو بطل مرابط كيوسف بن تاشفين أمير دولة المرابطين وبطل معركة الزلاقة التي أخرجت سقوط الإسلام في الأندلس أربعمائة من السنين ، أو سلطان مجاهد كالألب الدين أرسلان بطل معركة ملاذكرد التي ارتدى فيها كفته وتحنط فاقته به اثنا عشر ألف مجاهد ليسحق (جيش الأكراف) ستمائة ألف من الروم المعتدين!!

2) نصرنا في اللوح المحفوظ :

قال الله تعالى : { وَقَالَ مُوسَى رَبَّنَا إِنَّكَ آتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُ زِينَةً وَأَمْوَالًا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّوا عَنْ سَبِيلِكَ رَبَّنَا اطْمِسْ عَلَى أَمْوَالِهِمْ وَاشْدُدْ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُوا حَتَّى يَرَوْا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ } [يونس: 88].

فكان الجواب من ربّ الأرباب : { قَدْ أُجِيبَتْ دَعْوَتُكُمْ فَأَسْتَقِيمَا وَلَا تَتَّبِعَانِ سَبِيلَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ } [يونس: 89] .
زوي عن أبي جعفر محمد بن علي وعن الضحاک أنهما قالا في قوله تعالى : { قَدْ أُجِيبَتْ دَعْوَتُكُمْ } : كان بينهما أربعون سنة. وقال ابن جريج : يُقال إن فرعون ملك بعد هذه الآية أربعين سنة .

لكن ما السر في تأخير الإجابة وتأخر النصر؟! والإجابة : إن سنة الله لا تتغير ولا تتبدل ، فلا بد أن تمر الأمة بنفس المراحل .. دعوة إلى الله عزوجل .. يستتبع هذه الدعوة ولا بد : ابتلاء .. فإذا صاحب هذا الابتلاء صبر .. جاء الانتصار على طبق من ذهب .. سنة تحققت في كل نبي مرسل أو داعية ملهم فلم تشدّ أبدا.

قصة التمكين ليوسف

وكما حدثت مع موسى .. حدثت مع يوسف عليه السلام :

{ وَقَالَ الَّذِي اشْتَرَاهُ مِنْ مِصْرَ لِامْرَأَتِهِ أَكْرِمِي مَثْوَاهُ عَسَى أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَدَدًا وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ وَلِنُعَلِّمَهُ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ } [يوسف: 21].

الغريب في هذه الآية أنها تتحدث عن التمكين ليوسف في وقت كان فيه يوسف عبدا يُباع ويشترى وخادم يخدم في البيوت ويُقتنى!! وتبرير ذلك أن قرار التمكين ليوسف كان قد صدر .. خطه القلم في اللوح المحفوظ قبل خلق السماوات والأرض بمائة ألف سنة ، لكن لا بد لكي يسري القرار الإلهي من إجراءات مصاحبة ، وهذه الإجراءات هي نفس الإجراءات : دعوة .. فابتلاء .. فصبر .. فانتصار.

3) الخلافة القادمة :

عن النعمان بن بشير عن حذيفة : أن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال : " تكون النبوة فيكم ما شاء الله أن تكون ، ثم يرفعها الله إذا شاء أن يرفعها ، ثم تكون خلافة على منهاج النبوة ، فتكون ما شاء الله أن تكون ، ثم يرفعها الله إذا شاء أن يرفعها ، ثم تكون ملكا عاضا (الملك العاض أو العضوض: هو الذي يصيب الرعية فيه عسف وتجاوز، كأنما له أسنان بعضهم عضا) ، فيكون ما شاء الله أن يكون ، ثم يرفعها الله إذا شاء أن يرفعها ، ثم تكون ملكا جبرية (ملك الجبرية : هو الذي يقوم على التجبر والطغيان) ، فتكون ما شاء الله أن تكون ، ثم يرفعها إذا شاء أن يرفعها ، ثم تكون خلافة على منهاج النبوة " . صحيح

الخلافة العائدة إذن هي وعد الله لنا على لسان رسوله .. يطمئن من شك لحظة في قدرة الله لما رأى تكالب الأعداء على القصعة ، وتوالي الهزائم على الأمة.

4) الثقة بالنصر على قدر الإيمان

رسول الله - صلى الله عليه وسلم - القمة الباسقة في الثقة بنصر الله ، بلغه نقض بني قريظة للعهد في غزوة الأحزاب ، وأصبح المسلمون بين شقي الرحي من حصار المشركين وخيانة الجيران المعاهدين : عندها قال - صلى الله عليه وسلم - : " الله أكبر .. أبشروا يا معشر المسلمين "

وكأنه - صلى الله عليه وسلم - رأى ملكاً ينصر لا عدوا يغدر ، يعلم هذه الصيحة لمن جاء من بعده من أمته إذا أحاطت بهم المحن واستحكمت فيهم الفتن ، لهتفوا عندها مستبشرين ويصيحوا مطمئنين :
الله أكبر .. أبشروا يا معشر المسلمين.

وفي قلب المحنة وشدة الهول يقول : " إني لأرجو أن أطوف بالبيت العتيق وأخذ المفتاح ، وليهلكن كسرى وقيصر ، ولتنتفنن أموالهم في سبيل الله " ، وذلك لأن :
كل دمعة ولها نهاية ، وآخر طريق الدمعة .. ابتسامة

5) الأيام نداولها بين الناس :

قال عبد الملك بن عمير فيما روى عنه الثوري : رأيت رأس الحسين بين يدي ابن زياد ، ثم رأيت رأس ابن زياد بين يدي المختار ، ثم رأيت رأس المختار بين يدي عبد الملك ، فقال سفيان : فقلت له : كم كان بين أول هذه الرؤوس وآخرها؟ قال : اثنتا عشرة سنة.

دوام الحال من المحال ، وما طار طير وارتفع إلا كما طار وقع ، وفي غالب الأحيان يكون الهدم شرطاً للبناء ، وما أظلم ليل إلا أسفر عن نهار ، وليس بعد الكمال سوى النقصان ، كانت السيادة يوماً ما بيد الغرب ، فبزغت شمس الإسلام في الشرق لتستلم القيادة ، فلما تخلت الأمة عن مصدر قوتها وسرعزتها رجعت القيادة ثانية إلى الغرب ، والآن بدأ عود الأمة إلى الإسلام لتستعد لحمل الراية من جديد ، فالدور الآن لنا لا علينا { وَيَقُولُونَ مَتَى هُوَ قُلْ عَسَى أَنْ يَكُونَ قَرِيباً } الإسراء: من الآية 51

عقبات في الطريق

1. الخجل

انظر إلى أهل الباطل كيف يتفننون في الدفاع عن ضلالهم دون حياء من الله أو من خلقه ..
ويا لها من مفارقة مؤلمة: صاحب حق يتوارى خجلاً من طهره وصاحب باطل متبجح يفاخر بخبثه!
وليس بمستغرب على أهل الباطل التمادي في غيهم، فالشيطان رسم طريقهم ثم يؤزهم فيه أژأ، إنما المستغرب: صاحب حق يفر من الميدان!!

تقدم بشجاعة .. وإلا تقدم غيرك من دعاة الباطل وأزاحك عن الصدارة وتسلم القيادة، قيادة أخواتك إلى النار وقد فهم في جهنم!! كل خطوة تتأخرينها تساوي عشر خطوات يتقدمنها.
حاول بالتدريج .. درّب نفسك على حفظ حديث وإلقائه في أهلك وزوجك، ثم وسّع الدائرة رويدا رويدا في أحبابك، وبعدها: أرض الله واسعة.

أول مرة سيقبل عندك الخجل والوجل، وفي الثانية يقل أكثر، والثالثة أكثر وأكثر، وهكذا .. حتى يتبددا عنك إلى الأبد.
وبشكل عام .. ومع كل مهارة جديدة:
لا تتوقع نتائج فورية عند القيام بعمل ما مرة واحدة، وإنما ينبغي عليك المواظبة بشكل متكرر حتى تتوصل إلى النتائج المرجوة والأداء المستمر.

2. التشاؤم

الأمة فيها خير كثير أنتم عنه غافلون، وصدق - صلى الله عليه وسلم - (: إذا قال الرجل: هلك الناس فهو أهلكهم).

تفاعل!!

وكان النبي - صلى الله عليه وسلم - يحب الفأل الحسن، لأن الإنسان إذا أمّل فضل الله تعالى كان على خير، وإذا قطع رجاءه من ربه كان على سوء، وكان - صلى الله عليه وسلم - يكره التشاؤم والنظرة السوداوية إلى الأحداث، ومن ذلك أن النبي - صلى الله عليه وسلم - خل على أعرابي يعود، وكان النبي إذا دخل على مريض يعود قال لا بأس طهور إن شاء الله، فقال له: (لا بأس طهور إن شاء الله). قال: قلت طهور كلاب هي حُمى تفور أو تثور على شيخ كبير تُزيره القبور، فقال النبي - صلى الله عليه وسلم - (فنعم إذن رأى النبي - صلى الله عليه وسلم - في الحُمى تطهيرا من الذنوب لأنه - صلى الله عليه وسلم - ينظر دائما إلى الجانب المشرق في المحنة، أما الأعرابي أثر الكآبة والأحزان فاختر الهلاك والموت، فماذا كانت نتيجة التشاؤم وتوقع الأسوأ؟!)

بوسعك أن تنظر إلى العالم بنظرة معتمة، فلا ترى في العقبات سوى كومة أحزان وجعبة آلام، وبوسعك أن تنظر إليها باعتبارها ضريبة نصر وعلامة اصطفاء، فالشيء واحد والعين نفس العين لكن الرؤى تتباين.

قال مصطفى صادق الرافعي في كلام مصطفى فيفيض صدقا ويورث رفعة، وقد امتلك روح المؤمن المتفائلة ونظرته المستبشرة في كلام جميل صافح القلوب فأزال الكرب:

(والبطل الشديد البأس لا ينبع إلا من الشدائد القوية، والداهية الأريب لا يخرج إلا من المشكلات المعقدة، والتقي الفاضل لا يُعرف إلا من الأهواء المستحكمة). (صاحب الرسالة أشد الناس تفاؤلا، وهو أكثرهم نشاطا وأعلامهم همة .. يُحسن الظن بربه .. كل عسير عنده يسير .. كل مرض لديه إلى شفاء، وكل هزيمة إلى انتصار، وكل فشل إلى نجاح، والتفاؤل يفيض من قلبه على من حوله، ليبث روح التفاؤل في المتشائمين حوله بل وفي الخلق أجمعين.

3. ضعف العلم

إن كنت تشتكي من ضعف الثقافة فالحل هو ألا يمُرَّ عليك يوم دون أن تقرأ، وليكن معك نوتة صغيرة تدوّن فيها ما تقرأ، وتحفظ ما تكتب، وتنشر ما حفظت في من حولك.

أن العلم الذي تحصّله سيدفعك حتما إلى العمل، والعمل سيُحوّج الجسد إلى وقود وزاد، فيطلب المزيد من العلم، وما زال كل منهما يؤدي إلى صاحبه حتى تخرجين فائزة وترتقين دائما.

وخلاصة الحل: إذا سألت نفسك كل أسبوع: ماذا قرأت خلال هذا الأسبوع، فقد انحلت العقدة وعرفت حل المشكلة. : «بَلِّغُوا عني ولو آية»، ومهما ضعفت ثقافتك فأنت أعلم بكثير من كثير ممن حولك.

وتذكّري أنك لست كغيرك، فعلى قدر علمك تزداد مسؤوليتك، ويزداد عملك بالتبعية، وإلا كان علمك قطعة من العذاب ولجاما من النار.

ليست المشكلة في ضيق الوقت وكثرة المسؤوليات، إنما أس البلاء: عدم وضوح الرؤية وغياب الأولويات وضعف الهمم وتشتت العزم، ولذا ليست مهمتي معك أن أبصرك بتفاصيل الخطة خطوة بخطوة، بل وظيفتي أن أفتح قلبك بإذن الله، وجسدك تابع له لا محالة، لتنهمل الخيرات وتتوالى الفتوحات.

لو صدق همك لجمعت الدقائق على الدقائق جمع الحريص للمال بعضه على بعض، ولادخرت من أوقاتك وحرصت عليها حرصك على ثروتك أن تُسرق أو تضيع، لتجده عند اللزوم حاضرا تنفقه لدعوتك وتسخره لغايتك. والله .. لو أردت تعلم فنون الدعوة لصرت فيها أستاذا، ولو أردت هداية غيرك لاهتدي على يديك خلق كثير، لا مُحال في الحياة ما اجتمع الهمُّ وصحَّ العزم، المهم أن تدخلها في دائرة أولوياتك.

4. العجز والكسل:

كيف تقي نفسك من السقوط في هذين الفخين المهلكين: الفجور وهي السقطة الأفدح، والعجز وهو سُبّة في جبين كل شريف، وإن لم يكن ذلك عن طريق حمل الدعوة والسير في ركابها فكيف يكون؟! وإن لم يكن الآن وهذا تعلم لماذا كان عمر بن الخطاب يستعيد بالله من جلد الفاجر وعجز الخطاب الثقة.

ومن هنا استعاذ النبي - صلى الله عليه وسلم - من العجز والكسل والجبن والبخل، والعلاقة بين هذه الأمراض الأربعة واضحة كالشمس

ابن القيم الذي قال: فإن تخلّف كمال العبد وصلاحه عنه، إما يكون لعدم قدرته عليه فهو عجز، أو يكون قادرا عليه، لكن لا يريد فهو كسل، وينشأ عن هاتين الصفتين: فوات كل خير، وحصول كل شر، ومن ذلك الشر: تعطيله عن النفع ببدنه وهو الجبن، وعن النفع بماله وهو البخل).

غياب القدرة هو العجز، وغياب الإرادة هو الكسل، والعجز كما فضحه ابن القيم هو: (مفتاح كل شر). ومع هذا فإن غياب الإرادة هو الأخطر، لأنه إذا غابت قدرتك فقد تهض الإرادة بالمهمة كلها وتقهر العجز وتحطّمه، لكن إذا غابت الإرادة لم يعوّضها شيء، وانظر معي حين فقد الصحابة القدرة وامتلكوا الإرادة ماذا فعلوا؟! فقد الصحابي الجليل عُبّة بن زيد القدرة على الإنفاق لكنه امتلك إرادة الإنفاق، فقهرت إرادته عجزه، حتى خرج من الليل، فصلى من ليلته ما شاء الله، ثم بكى وقال:

(اللهم إنك أمرت بالجهاد ورغبتَ فيه، ثم لم تجعل عندي ما أتقوى به، ولم تجعل في يد رسولك ما يحملني عليه، وإني أتصدق على كل مسلم فيه بكل مظلمة أصابني فيها في مال أو جسد أو عرض).
يستحيل أن يكلفك الله ما لا تطيق، كيف وقد استخلفك في الأرض، وأعطاك كل مقومات الاستخلاف، وذلك لتقيم دينه وتحمي شرعه في الأرض، ثم تدّعي بعدها أنك لا تقدر!! تبا لمن هذا حاله!!
من حكم ابن عطاء: (ورود الإمداد بحسب الاستعداد).

5. الجبن والبخل

والجبن والبخل من أبعث الأفات وأصعب العقبات لأن سلعة الجنة غالية لا تُشترى بغير النفس والمال، وهذان يمنع من إنفاقهما الجبن والبخل، وبالتالي تبور تجارة الآخرة وتضيع الصفقة على الشاري، والعلاقة بينهما سبق وأن وضّحها ابن القيم:

(تعطيله عن النفع ببدنه وهو الجبن، وعن النفع بماله وهو البخل).

فالبذل المنتظر من صاحب الرسالة اليوم إما بماله، وإما ببدنه، فالبخيل يضيئ بماله، والجبان يضيئ ببدنه، لذا فالبخيل شرُّك به بحروفه الثلاثة كما قال أبو علي الجورجاني: «هو على ثلاثة أحرف: الباء وهو البلاء، والخاء وهو الخسران، واللام وهو اللوم، فالبخيل بلاء على نفسه، وخاسر في سعيه، وملوم في بخله»().

المؤكد إذن أن البخل عرضٌ لمرض، والمرض هنا هو إيثار الدنيا على الآخرة، وتفضيل ما عند الناس على ما عند الله، وتقديم ما سوى الدعوة على الدعوة، والعقلاء ينشغلون بأصل الداء وجذور البلاء، ذلك أركي لهم وأطهر.

أما عن الجبن: فهو علامة على اهتزاز الثقة بالنفس، وضعف الصلة بالله، ووهن اليقين بالقدر، وركّة الدين، وكلّ من الجبان والشجاع يحب نفسه؛ الجبان يحبها فميتها وهو يحسب أنه يُكرمها، والشجاع يحبها فيقذف بها في مواطن الشرف الدنيوي والأخروي،

(إن الشجاعة قد تكلف صاحبها فقدان حياته، فهل الجبن يقي صاحبه شر المهالك؟ كلا، فالذين يموتون في ميادين الحياة وهم يولون الأدبار أضعاف الذين يموتون وهم يقتحمون الأخطار. ...)

معادلة فهمها الصالحون في كل العصور، فبذلوا أرواحهم في سبيل دينهم لعلمهم أن ساعة الموت لا تتأخر لحظة، وأن زيارة ملك الموت مسجلة في اللوح المحفوظ من آلاف السنين لم تتغيّر، لا يؤجلها حرص الحريص أو حذر الجبان. قال أبو إسماعيل عبد الله بن محمد الهروي: (عُرضت علي السيف خمس مرات، لا يُقال لي: ارجع عن مذهبك، لكن يُقال لي: اسكت عمّن خالفك، فأقول: لا أسكت).

ومن جمع هاتين الأفتين المهلكتين فهو الفقير كل الفقر، المستحق للشفقة والمستوجب للإحسان كما نطق ولا يعالج هاتين الأفتين مثل الإيمان بالقدر، وهو ما أرشدنا إليه نبينا [^] في حديث ليس كمثلته دواء: (لا يمنعن رجلا هيبه الناس أن يقول بحق إذا رآه أو شهده، فإنه لا يقرب من أجل، ولا يبعد من رزق .)

أولويات العمل

(الصلاح - الأمر بالمعروف - الإنفاق بأوجهه - الدعاء - التفوق)

1. الصلاح

قال تعالى : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ) [الأنفال:27]. قال ابن كثير في التفسير: " والخيانة تَعَمُّ الذنوب الصغار والكبار.. اللازمة والمتعدية "ومعنى هذا :
* ... أن الذي ينام عن صلاة الفجر إنما ينام عن أطفال المسلمين الذين سقطوا في برائن التنصير في أندونيسيا ، ليغيروا دينهم ويستلبوا عقيدتهم.
* ... أن الذي يؤخر الصلاة عن وقتها والحقوق عن أدائها ؛ إنما يؤخر النصر عن أخ له يجاهد في سبيل الله.
* ... أن المسلمة التي تكشف عورتها إنما تكشف عورة مجاهد في فلسطين فيفتك به اليهود ويستبيحون دمه.
* ... أن الذي يطعن في إخوانه فيغتابهم ويذكرهم بسوء ؛ ليس سوى خنجر تُطعن به أخت كشميرية على يد مجرم هندي.

إن إصلاح نفوسنا ليس ضماناً لأخرتنا فحسب ، بل إنه أضحي سباج دنيانا وكهف بقائنا ، ومن ثم فإن المصيرين على الذنوب في هذه المرحلة من حياة أمتنا يرتكبون جريمة الخيانة العظمى .. درؤاً أو لم يدروا.

تمام الصلاح في دوامه

قال الحسن البصري :

" المؤمن !!! ما المؤمن؟ والله ما المؤمن بالذي يعمل شهراً أو شهرين ، أو عاماً أو عامين ، لا والله .. ما جعل الله لمؤمن أجلاً .. دون الموت " .

2. الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر (الدعوة إلى الله)

أيكم خان الأمانة؟!

ما هي الأمانة التي عرضها الله على السماوات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها ، وحملها الإنسان بظلمه وجهله ثم خانها ؟!

تولى الإجابة الإمام ابن تيمية قائلاً: " لا تظن أن الأمانة أن تتوضأ برتل من ماء وتصلي ركعتين في المحراب ، إنما الأمانة أن تحمل هذا الدين وتحمله للناس " .

إن الخطايا ليست عذرا للتحلل من الولاء للدين ، ولا من نصرته والغيرة عليه ، وليس معنى هذا أني أبرر لصاحب الخطيئة خطيئته ، بل معناه أني أدعوه لإصلاح نفسه ودعوة غيره في آن واحد ، وستناه دعوته لغيره وعمله لدينه عن عصيانه لربه وضعفه وتقصيره إن شاء الله.

أسئلة محرجة!!

* ... كم يعيش الدين في حياتك ؟!! كم يشغل من مساحة اهتمامك ؟!!

* ... هل أهديت لقريب أو زميل شريطاً بعد أن سمعته أو كتيباً بعد أن قرأته ؟؟

* ... هل أمرت بمعروف أو نهيت عن منكر؟ هل تعلم أن هذه المنكرات لم تنتشر في مجتمعنا في يوم وليلة؟! ولكنها

انتشرت لأن واحداً فعل والأخر سكت والاثنتان في الوزر سواء ، هل تعلم أن السكوت عن المنكر خيانة للمبدأ ، وجبن في الدفاع عن الحق؟!

* هل يكفي تعاطفك القلبي مع قضايا أمتك وتأمك النفسي لأحوالها؟! والجواب : التعاطف وحده لا يكفي ، والبكاء على الأطلال لا يقيم بناء ولا يرفع لواء ولا يحرك ساكنا ، ولن تؤجر على حزن حتى يتبعه عمل.

3. الإنفاق بأوجهه

دواء البخل

أخي البخيل .. اسمع هذه الأحاديث لعلك بها تشفى فتطلق يدك وتُخرج صدقتك :

قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - :

* ... " من جهز غازيا في سبيل الله فقد غزا ، ومن خلفه في أهله بخير فقد غزا ". صحيح

* ... " وإن أحب الأعمال إلى الله سرور تدخله على مؤمن ". حسن

* ... " والصدقة تطفئ الخطيئة كما يطفئ الماء النار ". صحيح

* ... " قال الله عز وجل : يا ابن آدم أنفق أنفق عليك ". صحيح

* ... " كل امرئ في ظل صدقته حتى يقضى بين الناس ". صحيح ، أي أن الصدقة تحول بين العبد وبين حر الشمس يوم

القيامة.

قبل فناء الأعمار

أنقذوا إخوانكم بالصدقة ، وداووا جراحهم بالنفقة ، وبرهنوا على حياة قلوبكم بإخراج أموالكم (وَأَنْفِقُوا مِنْ مَا

رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَا أَخَّرْتَنِي إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُنْ مِنَ الصَّالِحِينَ)

[المنافقون:10].

4. الدعاء

أصل كل توفيق . إذا كان كلُّ خيرٍ أصله التوفيق ، والتوفيق بيد الله لا بيد العبد ، فمفتاحه الدعاء وصدق اللجوء إليه

، فمتى أعطى الله العبد هذا المفتاح فقد أراد أن يفتح له ، وما أتى من أتى إلا من قبل إهمال الدعاء ، ولا فاز من فاز إلا

بصدق الدعاء والإلحاح.

قال ابن تيمية رحمه الله :

" وقد كان الصحابة رضوان الله عليهم إذا سألوا النبي - صلى الله عليه وسلم - عن الأحكام أمر رسول الله - صلى الله

عليه وسلم - بإجابتهم .. فلما سألوه عنه سبحانه وتعالى قال : (وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ

إِذَا دَعَانِ) فلم يقل سبحانه (فقل) بل قال تعالى: (فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ) ."

لماذا ندعوه؟!

كانت عائشة رضي الله عنها تقول :

سلوا الله التيسير في كل شيء ، حتى الشسع في النعل ، فإنه إن لم ييسره الله لم يتيسر.

فكيف إذا الأمر ليس شسع نعل ، بل ضياع أمة وإبادة شعب واستئصال دين واستئساد باطل ، أفلا يستحق ذلك

الدعاء الليل مع النهار؟!

ولنا في رسول الله - صلى الله عليه وسلم - الأسوة الحسنة ، ففي حادثة بئر معونة قُتل سبعون من حفاظ القرآن ، فظل

رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يقنت أربعين يوما في الصلوات الخمس على قبائل عضل والقارة الذين قتلوهم ، لذا

فواجبنا تجاه إخواننا وحقهم علينا يقتضي منا :

* ... فنوت النوازل في كل صلاة والدعاء لإخواننا ولأمتنا.

* ... الدعاء لهم وقت السحر واغتنام أوقات الإجابة.

ورُبَّ دعوة في ظلام الليل كان لها أعظم الأثر في تسديد رمية مجاهد ، أو تأمين روعة ملهوف ، أو إيناس وحشة أسير ، أو

تقوية عزيمة مصاب ، أو رد كيد عدو ، أو دحر هجوم باغي.

* ... الدعاء بنيل الشهادة :

اللهم إنك رزقتنا الإسلام دون لم نطلبه ، فارزقنا الشهادة في سبيلك ونحن نطلبها.

قال ابن الجوزي رحمه الله :

" إذا وقعت في محنة يصعب الخلاص منها ، فليس لك إلا الدعاء واللجوء إلى الله بعد أن تُقدّم التوبة من الذنوب ، فإذا تُبّت ودعوت ، ولم تر للإجابة أثراً فتفقّد أمرك ، وربما كانت التوبة ما صحّت فصحّحها ، ثم ادعُ ، ولا تملّ من الدعاء ، وربما كانت المصلحة في تأخير الإجابة ، وربما لم تكن المصلحة في الإجابة ، فإذا جاء إبليس فقال : كم تدعوه ولا ترى إجابة ، فقل : أنا أتعبّد بالدعاء ، وأنا موقن أن الجواب حاصل ، غير أنه ربما كان تأخيره لبعض المصالح فهو يجيء في وقت مناسب ، ولو لم يحصل حصل التعبّد والتذلل ."

5. التفوق :

التفوق فريضة إسلامية ، وديننا هو الدين الذي جعل العالم في مختبره والطالب في مدرسته وصاحب كل صاحب مهنة وهو يقوم بواجبه : يقوم مقام الصائم القائم إذا استحضر النية الصالحة ، لأن الأخذ بالأسباب واجب لنصرة الدين وإعلاء رايته.

قال ابن الجوزي :

" ينبغي للعاقل أن ينتهي إلى غاية ما يمكنه ، فلو كان يُتصوّر للآدمي صعود السماوات لرأيت من أقيح النقائص رضاه بالأرض ، ولو كانت النبوة تحصل بالاجتهاد رأيت المقصّر في تحصيلها في حضيض ." ما أشبه الليلة بالبارحة

أرسل هولوكو قائد التتار إلى مصر خطاب تهديد ووعيد إن هي امتنعت عن التسليم ، وهذا نصه : " من ملك الملوك شرقا وغربا القائد الأعظم .. يعلم الملك المظفر قطز أنا جند الله في أرضه ، خلقنا من سخطه ، وسلّطنا على من حلّ به غضبه ، فنحن ما نرحم من بكى ، ولا نرقّ لمن شكّا ، وقد سمعتم أننا قد فتحنا البلاد ، وطهرنا الأرض من الفساد ، وقتلنا معظم العباد ، فمالكم من سيوفنا خلاص ، ولا من مهابتنا مناص ، فخيولنا سوابق ، وسهامنا خوارق ، وسيوفنا صواعق ، وقلوبنا كالجبال ، وعددنا كالرمال ، فالحصون لدينا لا تمنع ، والعساكر لقتالنا لا تنفع ن ودعاؤكم علينا لا يُسمع ، فقد أنصفناكم إذ أسلفناكم ، وأيقظناكم إذ حدّرتناكم ، فما بقي لنا مقصد سواكم ." الصدمة والرعب!!

وسبقت هذه الرسالة رسالة أخرى لكن حروفها دم وكلماتها دمار وصفحاتها خراب ، كان التتار قد اجتاحوا عاصمة الخلافة بغداد عام 656 من الهجرة ، فقتلوا فيها من المسلمين على أقل تقدير ثمانمائة ألف وقيل ألف ألف وثمانمائة ألف وقيل بلغت القتلى ألفي ألف نفس ، واستمر القتل فيها أربعين يوما ، وقُتل الخليفة المستعصم بالله وولده الأكبر أبو العباس أحمد ، ثم قتل ولده الأوسط أبو الفضل عبد الرحمن ، وأسر ولده الأصغر مبارك ، وأسرت أخواته الثلاث ، وأسر من دار الخلافة من الأبيكار ما يقارب ألف بكر ، وكان الرجل يُستدعي فيخرج بأولاده ونسائه فيذهب به إلى المقبرة فيذبح كما تذيب الشاة ، ويؤسر من يختارون من بناته وجواريه ، وقتل الخطباء والأئمة وحملة القرآن ، وتعطلت المساجد والجماعات والجمعات مدة شهور ببغداد ، وأنتنت البلد من جيف الموتى وتغيّر الهواء ، فحصل بسببه الوباء الشديد حتى تعدّى وسرى في الهواء إلى بلاد الشام ، فمات خلق كثير من تغير الجو وفساد الرياح ، فاجتمع على الناس الغلاء والوباء والفناء والطعن والطاعون.

يصف ابن الأثير تلك الفترة العصبية فيقول :

" لقد بقيت عدة سنين معرضا عن ذكر هذه الحادثة استعظاما لها ، كارها لذكرها ، فأنا أقدم إليه رجلا وأؤخر أخرى ، فمن الذي يسهل عليه أن يكتب نعي الإسلام والمسلمين ، ومن الذي يهون عليه ذكر ذلك ، فيا ليت أُمي لم تلدني ، ويا ليتني مت قبل هذا وكنت نسيا منسيا ، فلو قال قائل : إن العالم منذ خلق الله سبحانه وتعالى آدم إلى الآن ، لم يبتلوا بمثلها لكان صادقا ، فإن التواريخ لم تتضمن ما يقاربها ولا ما يدانها ."

ونزل الإسلام المعركة

كان رد الملك المظفر قطز على هولاء صارما : سيفاً لا خطباً .. حرباً لا سلماً ، فقتل رسل هولاء ، وعلّق رؤوسهم على باب زويلة ، وأعلن الجهاد في الأمة واستنفر العلماء ، فانبرى العزبن عبد السلام وإخوانه العلماء يزرعون في الناس حب الاستشهاد وطلب الجنة والشوق إلى حور اثنتين وسبعين ينتظرن الشهيد ، وصارهم الناس هما واحداً : هم الآخرة ، وسمت فيهم نفخة الروح عن قبضة الطين ، فإذا أسمى أمانهم ألا يردهم الله إلى أهلهم وديارهم سالمين!!
وأصر القائد المسلم أن يبدأ المعركة بعد صلاة الجمعة تبركاً بدعاء الخطباء على المنابر وتأمين المصلين ، وبدأت المعركة واشتد القتال وكانت الكرة على المسلمين ، فاخترق التتار صفوفهم حتى وصلوا خيمة القائد ، فأصابوا زوجته (جلنار) ، فلما رآها قطز على هذه الحال صاح في لوعة : واحبيبتاه ، فقالت له في إيمان : لا تقل واحبيبتاه بل قل وإسلاماه ، لتكون أول من ينطق بهذه الكلمة المباركة في هذه الأمة ، فما كان منه إلا أن رمى عن رأسه الخوذة وحمل على العدو ، وعقر جواده وهو في قلب العدو ، فترجّل وبقي على الأرض ، فلامه بعض الأمراء قائلين : لو ركبت فرس فلان ، فلورأك بعض الأعداء لقتلك وهلك الإسلام بسببك ، فقال في ثبات وإيمان :
" أما أنا فكنت أروح إلى الجنة ، وأما الإسلام فله رب لا يضيّعه ، قد قُتل فلان وفلان وفلان .. حتى عدّ خلقاً من الملوك ، فأقام للإسلام من يحفظه غيرهم ، ولم يضيّع الإسلام ".
وما هي إلا سنتين اثنتين فقط بعد سقوط بغداد ، حتى هزم المسلمون التتار هزيمة ساحقة في هذه المعركة معركة عين جالوت سنة 658 من الهجرة.

و السؤال الباقي من يحمل هم الدين؟ و متى تحمل هم الدين و الأمة و الدعوة؟ متى تستيقظ الأمة؟!

نماذج عملية

1. مؤمن يس
2. مؤمن آل فرعون
3. غلام الأخدود
4. الإمام حسن البنا
5. الشيخ أحمد يس